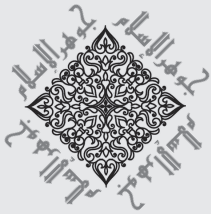

جوهر الإسلام

العدد 10/9 ـ السنة 22
رجب 1445 هـ / فيفري 2024 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله**

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000023810 6
ISSN	0330-4957

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1445 هـ/ 2024 م

المحتوى

الافتتاحية : أي دور للزيتونة والتعليم العتيق في نشر العلم والسلم 6
رئيس التحرير

لَمَعَات عن المُصْلِح الحبيب المِسْتَاوي ما بين شَيْخٍ علامة... وشاعِرٍ فَهَّامَة رحمه الله.. 8
بقلم الأستاذ صالح العود

تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله 11

كلمة معالي الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه في افتتاح ملتقى الرابع
للمؤتمر الافريقي لتعزيز للسلم التعليم العتيق في إفريقيا العلم والسلم..... 14
بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن بيه

البيان الختامي للملتقى الرابع للمؤتمر الافريقي لتعزيز السلم 21

إصلاح التعليم الإسلامي (الزيتونة نموذجا) كما رسمها سماحة الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور رحمه الله في كتاب:(أليس الصبح بقريب؟) 27
بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

التواصل التونسي الليبي(الزاوية الأسمرية نموذجا) 35
بقلم الأستاذ جهاد الشيخ علي

الأرض وما عليها أمانة في رقبة الإنسان 44
بقلم الدكتور أحمد الطيب شيخ الازهر

الإسلام والعنف : الدعوة بالحسنى..... 46
بقلم الأستاذ كمال ساسي

الحماية عن طريق الدعوة..... 53
بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان (رحمه الله)

الحديث السابع والعشرون من الأربعين النووية : البر والإثم..... 56
بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العقل.. وحدود الغيب 60
بقلم الدكتور محمد البشاري

أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر الأداة الثالثة :
أصول الفقه 62
بقلم الدكتور مصطفى قطب سانو
الأستاذ أنور الجُنْدِي رحمه الله عملاق الفكر ورجل الدعوة واليقظة 67
بقلم الأستاذ صالح العَوْد
هذه حيثيات ارتباط القضاء الشرعي باللغة العربية ماذا تعني لك اللغة
العربية ؟ 71
بقلم الأستاذ القاضي عبد اللّٰه آدم عبد الله
رسالة عاجلة إلى السيد المسيح عليه السلام 73
الأستاذ إبراهيم الربو - ليبيا
حاجة المسلمين اليوم ماسة إلى تجديد إسلامهم 75
بقلم الشيخ المجيب المستاوي - رحمه اللّٰه
رسالة تضمن التوصية لرجل أصابه ضيق مِمّا هو عليه من أحوال غير مرضية
عنده ويريد الأنتقال عنها 77
بقلم الأستاذ عبد الهادي شنركامب
خطبة الجمعة 83
بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي
يسألونك قل : مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ 88
بقلم الشيخ محمد المجيب النفطي - رحمه اللّٰه
هذه هي مجلة «جوهر الإسلام» 90
بقلم الأستاذ محمد أيمن القربي
اغتراء الأغرار يدعو إلى الإعتبار والإستنكار 92
إخلع نعالك فالمكان مقدس والأرض حولك كلها محراب 94
رائعة الشاعر القيرواني محمد الغزي (رحمه اللّٰه)
تلقيح اسمه «الحمد للّٰه» 96
بقلم صالح المحاجة

الافتتاحية :

من وحي المشاركة في الدورة الرابعة للمؤتمر الافريقي لتعزيز السلم

أي دور للزيتونة والتعليم العتيق في نشر العلم والسلم ؟

بهذا العدد 9/ 10 تنهي مجلة جوهر الإسلام سنتها الثانية والعشرين(والذي يقترن بالذكرى المائوية لمؤسسها الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله (1923/ 2023) التي حياها في هذا العدد مشكورين كل من الشيخ صالح العود والأستاذ ايمن القربي جازاهما الله خيرا على وفاءهما وتقديرهما لأعلام الزيتونة ونشرهما لمآثرهم لتقتدي بهم الأجيال الجديدة التي لم تدركهم ولم تتشرف بالاغتراف من معين علمهم العذب الذي تلقوه في جامع الزيتونة كعبة العلم في الشمال الافريقي وقبلة طلبته يشدون إليه الرحال من كل أطراف الغرب الإسلامي الممتد إلى بلدان غرب افريقيا وبلدان ما وراء الصحراء فضلا عن أبناء الشعب التونسي بمختلف فئاتهم وجهاتهم فهو مدرسة الشعب المحدود في إمكاناته ليس لهم في ما مضى من الزمان ملاذا سواه.

ان الشيخ المؤسس لمجلة جوهر الإسلام- قبل ما يزيد على نصف قرن من عمر الزمان – هو من تلك الصفوة من العلماء والشيوخ والايمة والوعاظ الذين تخرجوا من الجامع الأعظم والذين امتد سندهم من الشيخ علي بن زياد تلميذ إمام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه واحد رواة الموطأ ومدرسه في رحاب الزيتونة المعمور (وما اطلق وصف المعمور إلا لأنه ظل معمورا بالعلم إلى عهد قريب في أواخر خمسينات القرن الماضي) وصولا إلى سماحة الشيخ ابن عاشور رحمه الله ليصبح مجرد كلية ألغيت روافدها المنتشرة في أغلب المدن التونسية وقارب عدد تلاميذها آنذاك سبعة عشر ألفا وامتدت تلك الفروع بمبادرة رائدة من سماحة شيخ الجامع الأعظم الأستاذ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله واجزل مثوبته إلى القطر الجزائري حيث كان للزيتونة فرعان في مدينة قسنطينة وعنابة.

لقد كان الشيخ المؤسس لمجلة جوهر الإسلام في تحصيله العلمي الزيتوني مثل العشرات بل المئات من أمثاله ممن كانوا قبله ومن جاؤوا بعده إلى العهد القريب الذي وقعت الإشارة إليه (أواخر الخمسينات) نموذجا للعالم الثبت المتين التكوين والتحصيل والذي لم يدفعه إلى بلوغ هدفه النبيل إلا الإخلاص لدينه وأمته والرغبة الصادقة التي لا تشوبها أية شائبة من حظوظ النفس ومغريات الحياة الدنيا .

وبهذا الإخلاص أثمرت جهود شيوخ الزيتونة خيرا وبركة لهم وللبلاد وكتب الله لهم وراثة الأنبياء عليهم السلام في إرشاد الناس إلى ما فيه صلاحهم في عاجل حياتهم وفي اخرتهم وكتب الله لعملهم أن يدوم ويتصل وأجزل الله لهم مثوبتهم عليه فعجل لهم في الدنيا رفع ذكرهم وما أعده الله لهم في الآخرة أكبر وأعظم وأبقى فالحمد للّه الذي لا يضيع أجر من أحسن قولا وعمل صالحا ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾.

لقد ظلت مجلة جوهر الإسلام فيما صدر من أعدادها طيلة العقود الماضية صوتا لهذا النهج القويم الذي رضيه أهل تونس وأهل ربوع الغرب الإسلامي : الإسلام بخصائصه السنية الأشعرية المالكية الجنيدية التي رسخها وقوى التمسك بخت شيوخ الزيتونة والقرويين والأزهر وزوايا الجنوبين الجزائري والمغربي وعلماء شنقيط في المحاظر بموريتانيا وحلقات التعليم في تمبكتو بمالي وخلاوي السودان والدارة في السنغال وغامبيا وهي معاقل التعليم العتيق التي كان لها دورا فعالا في نشر إسلام السماحة والوسطية والاعتدال والتحرير والتنوير، إسلام السلم والاخوة بين المؤمنين والوئام والتعايش في سلام بين شعوب وقبائل إفريقيا تماما كما هو الحال في كل ارض وبلاد وصلت إليها رسالة الإسلام وكان فتحها وتقديم الصورة الحقيقية لها على ايدي العلماء العاملين والشيوخ المربين والتجار الصدوقين وكانت دعوتهم دعوة حال لا دعوة مظاهر وكلام كما هو الحال ويا للأسف في هذا الزمان !!

في هذا العدد من مجلة «جوهر الإسلام» إضافة إلى الأبواب القارة وجملة من البحوث المتنوعة الكلمة التأطيرية العميقة التي افتتح بها العلامة عبد الله بن بية رئيس منتدى أبو ظبي لتعزيز السلم المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم في دورته الرابعة وموضوعه (التعليم العتيق : العلم والسلم) والتي احتضنتها العاصمة الموريتانية نواك الشط في الفترة من9 إلى11 جانفي 2024 بمشاركة وفود رسمية وعلمية جاءت من مختلف البلدان الإفريقية ومع الكلمة التأطيرية (الجديرة بالانكباب على مضامينها المشخصة لواقع التعليم العتيق وما شهده من أطوار وما لعبه من أدوار إيجابية في نشر السلم والوئام وما يمكن أن يواصل التعليم العتيق القيام به في هذا المجال) كما يتضمن البيان الختامي الصادر عن المؤتمر ومعهما بحث فيه عرض لمضامين خطة إصلاح التعليم الزيتوني (وماهو الا نموذج للتعليم العتيق) كما جاء في كتاب «**أليس الصبح بقريب**» لسماحة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله راجين أن يكون فيما تنشره جوهر الإسلام وتعمم الإفادة به في موضوع مؤتمر (التعليم العتيق العلم والسلم) النفع وللّه الأمر من قبل ومن بعد.

رئيس التحرير

لَمَعَات عن المُصْلِح الحبيب المِسْتَاوي ما بين شَيْخٍ علامة... وشاعِرٍ فَهَّامَة رحمه الله

بقلم الأستاذ صالح العود

- الشّيْخُ **الحبيبُ المِسْتَاوِي** رحمه الله وبَرَّدَ ثَراه، أَصِيلُ مدينة **تَطَاوِين** دُرَّةُ الجَنُوب التُّونِسِي.
- وُلِد، ونشَأَ، وحفِظ القرآنَ الكريم فيها، ثم **سَلكَ** طرِيقَه في سبيلِ طلب العِلْمِ الشّرعِي إلى **تونِس**، حيثُ **جَامِعُ الزّيتُونَةِ**، المعْمُورُ بِالعُلومِ والفُنون، وكوكبةٌ مشهورَة بِالجِلَّةِ من العلماءِ والشّيوخ.
- وبعد أن تخرَّج فيه حاملاً «**شهادَةَ العالمِيَّة**» سنة(1371هـ=1951م)، انبَرَى يَعملُ فِي سِلكِ التّعليم **بالفروع الزيتونية في مدينن وقفصة وتطاوين وبالكلية الزيتونة، وكذلِك التدريس والخَطابَة** في المسَاجِد.
- كما سافَر إلى المُدن القريبَة والبعيدَة، دَاخِلَ الوَطَن وخارِجه، ليُبلِّغَ رسالَة الإسلام الخالدة، وتعاليمَه السّمْحة، والدّعوةَ إِلَيْه بالحكمةِ والموعظةِ الحسَنة .
- ومن أعماله البارّة أيضًا تولِّيَه «**الأمانَةَ العَامَّة**» للجمعيّة القوميَّة للمحافظة على القرآن الكريم، وهو عُضو مؤسِّس لها مع نخبة أبرَار مِن علماء تونس الأَخيَار.
- كما أعَدَّ وقدَّمَ للإذَاعة الوطنية التونِسيّة برامج دينيّة، من أهمِّها وأجلِّها :«**تفسير القرآن الكريم**» في حلقات، لعدّة سنوات .
- ومِن أعماله المميّزة والرَّائِدة في آنٍ معًا، إصدارُهُ (**مجلّة جَوْهَر الإسلام**) في عام (1388هـ=1968م)، وقد تولى بنفسه إدارتها،ورئَاسَةَ تحريرِها حتَّى وفاتِه رحمه الله في سنة (1395هـ=1975م)، ثم خَلَفَهُ في مُواصلةِ الإصْدار

وكذَا سلطة الإشرافِ، نجلُهُ البَار فضِيلَةُ الأُستاذ المفكِّر محمَّد صلاح الدِّين المِستاوي حفظه الله ورعاه، وبارك في جهودِه ومسعَاه، في الحفاظِ عليها وموَاصلة القيام بالمسؤوليَّات نحوَها، حتَّى اليوْم شكلاً ومضمونًا، وقد مرَّ على صدُورِهَا حتّى يوم النَّاسِ هذا أكثر من **نصفِ قرْن**.

- و(**جوهرُ الإسلام**): مجلة ثقافيّة، إسلاميّة، جامعة، سدّت فراغًا هائلاً وهامًّا، بعد أن توقّفتْ مَثيلاتُها، كالمجلة **الزيتونيّة** : صدرت ثم توقفت ومجلة **السّعادة العُظْمى** صدرت كذلك ثم توقفت، فجَاءَت مجلّة (**جوهرُ الإسلام**) **الغرَّاء** – بعدَ غيَاب تلك المجلاّت الإسلاميَّة في تونِس، فحَمَلت المشْعل، واستمرّت حتى وصلتْ أعدادُها إلى أقصَى البِلاد، وخارجَهَا :شرقًا وغربًا، وكذلك أوروبَّا، والحَمدُ لله على هذا التوفيق، الّذي به الوُصُول إلى التّحقيق.
- هذه في الحقيقة «**لَمْحَة**» سَريعَة عن العلاّمة ..الداعية ..فضيلة الشّيخ **الحبيب المستاوي**، رحمه الله وأحسن مثواه، جزاء ما قدّم وخدم الأمّةَ على مرّ الأزْمان، وسائر الأوطَان، من حيث لم يكن يحتسب .
- تقبل الله عمله في الصّالِحين، وسائِر تضحِيَّاته الغير مسبُوقة عند رب العالمين جلّ في علاه .

بقيَ هناك جانبٌ آخَر وَضِيءٌ في شخصِيَةِ العلاّمة الفَذ سيِّدِي الشيْخ الحبيب المِستَاوي رحمه الله، أَلاَ وهُو «**شاعريَّتُه**» العملاَقَة بِكُلِّ معنَى الكلِمة وأبعادِهَا، فاستحقَّ فعلاً أن يكون لهُ (**دِيوَانِ شِعْر**)، ضمّ بيْن دفَّتَيْه «**أَشْعارهُ**» الجميلة و«**قصائده**» الجليلة، التي نظمها بمناسبة أو غير مناسَبَة، أو التي صاغها تحت ضَغْط الشعور الذي كان يُحِسُّه من كل ما يَرَى،أو يسمع، فَتهْفُو **نفسُه المطْمَئِنَّة** إلى طرْح «**أبياتٍ**» من خلالهَا يتنفَّس الصُّعَدَاء، أو تسْلُو لها نَبَضاتُ قلبِهِ الفياض، والحسَّاس **لآلاَم الأُمَّة المدْلَهمَّة**،وقدْ أَهْدَاني نجلُه الفاضِل هذا، «**الديوان**» وهو بعنوان : (**مع الله**)، **فتمعَّنتُ** فيه غايَة التمعّن، ووقفت عند جَلاَلِ بعضِها، **وتساءَلتُ** في نفسي: من أَيْن لهذا العالم الزّيتوني، مثل هذه القريحة الجياشة، وهذا الحِس المُرْهِف، وهذه **الفُيُوضَات الربّانية**،وهذه **السّلاسَة في اللّفظ**،وصِيَاغة المعْنَى، ورشَاقة الأسلوب **الآسِر** للعقُولِ والقلُوب .

- إنَّ هَذا (**الدِّيوَان**) العظِيم : جوهَرة ثمِينَة، فقد جمع فيه الشيخُ المِستَاوي رحمه الله ما لذَّ له وطاب، وَمِنْ كل ما تَطمَئِن إليه النّفس، **وتعْشقُه** الأُذن، **ويَخْلُب الفكر**، كلّ هذا وغيرُه من المُواصَفات يَدُلُّنَا حقًّا على رُسُوخِه في بُحور الشِّعر الأَصِيل، ومدى عُمْقِه في فهْم اللّغة العربيّة العريقة، وكفاءَته اللاّمُتناهيَة في

التعبير والتحرير، لذا كان الشيخ المِستَاوِي مِمّن يُحْسِن السباحَة في أعماقها، ويُتقِن القنص من لآلئها وأصدافِها **الخلاّبَة** .

- وبالتالي، فيا نِعْمَ هذا (**الدِّيوَان**) وما حوَى وهوَى،ويا نِعْم تلك «**القصائد**» المجموعَة فيه مما حَلاَ وَعَلاَ.
- ومِسكُ الخِتَام، رحم الله عزّ وجلّ النَّاظِمَ العَلاّمة، فضيلة الشيخ الحبيب المِستَاوي، والذي قلّ نظِيرُه بيْن الشعراء من العلمَاء الأعلام.

=فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جناتٍ تجري تحتهَا الأنهار =

وسَلاَمٌ على علمَائِنا الشّعَرَاء، في تونِس الخضْرَاء .

والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخِرًا .

هُبي فلسطين

محمد بن سيد أحمد بن صلاحي بن ابني العباسي ـ موريتانيا

هُبِّي فِلَسْطِينُ إنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَا ... وَشَمِّرِي وَاحْمِلِي لِلنَّصْرِ عُنْوَانَا

صَبْرًا، حَنَانَيْكِ إنَّ الْعُرْبَ نَائِمَةٌ ... وَأَنْتِ أَسْمَعْتِ لَوْ نَادَيْتِ إنْسَانَا

هَا أَيْقِظِينَا، فَأَنْتِ الْيَوْمَ أَشْجَعُنَا ... وَعَلِّمِينَا، فَإِنَّ الْجَهْلَ أَنْسَانَا

وَأَنْقِذِينَا، فَقَدْ مَاتَتْ ضَمَائِرُنَا ... وَالْجُبْنُ أَرْهَقَنَا شِيبًا وَشُبَّانَا

الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ إِعْلَانًا نُشَاهِدُهُ ... فِي شَعْبِنَا وَكَأَنَّ الْأَمْرَ مَا كَانَا

أَلَيْسَ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مُعْتَصِمٌ ... لِنُصْرَةِ الصَّارِخِ الْمَلْهُوفِ حَيْرَانَا

لَا يفْهَمُ الْحَاكِمُ الْمِغْوَارُ -وَا أَسَفًا- ... لَوِ اسْتُبِيحَ الْحِمَى وَاحْتُلَّ أَقْصَانَا

يَا أُمَّةً شَرُفَتْ بِالدِّينِ وَانْتَصَرَتْ ... هَلَّا أَعَنْتُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ إِخْوَانَا

هَلَّا أَذَقْتُمْ عَدُوَّ اللَّهِ قَارِعَةً ... وَكُنْتُمْ فِي الْوَغَى لِلَّهِ فُرْسَانَا

كَمْ مِنْ أَرَامِلَ ثَكْلَى لَا سَبِيلَ لَهَا ... تَدْعُو بِصَرْخَتِهَا عُجْمًا وَعُرْبَانَا

يَا شَعْبَ غَزَّةَ شَمِّرْ لَا تَخَفْ رَهَبًا ... وَكُنْ عَلَى الشِّرْكِ إِعْصَارًا وَطُوفَانَا

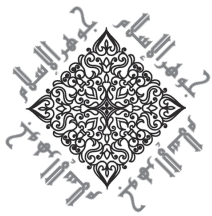

تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

قال الله تبارك وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾

هذه نهاية سورة الفجر وهذه الآيات متصلة بما قبلها من أكل التراث أكلا لما ومحبة المال حبا جما، هذا الأكل وهذه المحبة الذين نشاهدهما عند جميع المفتونين بالحياة الدنيا الذين يجعلونها رأس مالهم وغايتهم القصوى كأنهم ما خلقوا إلا لها، وفرحتهم بمتعها أكبر وهذا وهم وخطأ وتحريف للرسالة الإنسانية. ولأجل تهديم هذا الوهم أتى سبحانه وتعالى بكلمة كلا لتنفي هذا الوهم ولتردع أصحابه حتى يرعووا عن اكل التراث وعن حب المال. فماذا يفيد اكل حقوق الغير عند دخول القبر وما يجدي حب المال عند المآل، وماذا يفيد النعيم الزائل عند العذاب الدائم، ماذا يفيد كل هذا **﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾** وتهدمت وتهشمت واستو ى عاليها بسافلها وانهار ما على ظهرها من بناء حسي ومن وهم سخيف.

وذلك آت لا ريب فيه يوم يأذن العلي الأعلى بإنهاء هذه الحياة الدنيا و طي صحيفتها وصحائف أهلها من المفتونين بها والمغرورين بسرابها المكذوب وبرقها الخلوب **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾** .لا بد من الوقوف على هذه الحقائق ولا بد من رؤيتها رؤية العين المجردة يوم ان تنقطع

الأسباب وتظهر الأشياء على حقيقتها فيصبح الحاكم الأوحد سبحانه وتعالى هو الذي يأمر وينهى ويجرد الأقوياء من الجبابرة من كل حول وطول وتصبح كل نفس بما كسبت رهينة ويوم يردد كل نبي ورسول وصالح : نفسي نفسي يا الله ولا يجرأ على الاهتمام بشؤون الخلائق احد إلا من خصه الله بالشفاعة العظمى صلى الله عليه وسلم وذلك تفضل من الله لا تطاول عليه ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ ﴿**لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ذَلِكَ الْيَوْمُ الحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا**﴾ هذا هو مجيء الله سبحانه وتعالى الذي عنته الآية بمجيء أحكامه وسلطانه واقتراب هذه الحقيقة من كل قلب وعقل فلا يبقى من يجادل. أما مجيء الاملاك صفوفا فهو المجيء الحسي الذي نعرفه وندركه ونشاهده على صفته المعروفة لان الملائكة جند الله المنفذ لأحكامه المتولي سوق النعيم لأهله وزج اعداء الله إلى مصارعهم ويسوقونهم إلى السعير وبئس المصير وكذلك أيضا تجيء جهنم او المجيء بها فإنه مجيء حسي مشاهد اذ سوف يراها الجاحدون بأعينهم في أرض المحشر قبل أن يؤذن بهم ليقذفوا في صميمها وليصبحوا حطبا لها، ويستخلص القرآن من هذا المجيء الحسي والمعنوي النتيجة التي سوف تحصل فيقول ﴿**يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾.

في ذلك اليوم الرهيب العصيب يتذكر الإنسان الغافل الذاهل والكافر الجاحد ومن كان همه مقصورا على الدنيا لا يفكر في سواها ولا يسمح لنفسه بتجاوز حدودها الضيقة يتذكر ما فاته ويتعظ بما يرى ويسمع ويتوب عما كان يفعله من اثم وفجور. ولكن من أين له الاتعاظ وتلك التوبة قد فاته الفوت وفرط يوم ان كان يمكنه التلافي والتدارك فكل ما سيقوله في ذلك اليوم فراغ وهراء وجنون غير ان الحرارة والحسرة والندم تدفعه إلى القول ولو بدون جدوى ﴿**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ كلمة ليست الاسلم العاجزين والمغرورين يرددونها كلما جبههم الواقع وصفعهم الحق ولكنها سلبية مطلقة وهؤلاء المفجوعون يقولون جميعا : يا ليتني قدمت عملا صالحا لحياتي الخالدة ينفعني فيها لأنه عمل لأجلها فتكون اللام لام تعليل واقعة في محلها ويأتي تعقيب المولى سبحانه وتعالى على الأمنية السخيفة بعدها مباشرة وكله توبيخ وتخويف ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾ ومهما اختلفت القراءات في كل كلمة يعذب ويوثق من البناء للفاعل أو البناء للنائب فان المعنى المقرر المركز في القراءتين واحد وهو أن نوع العذاب المسلط

على أعداء الله لا يمكن ان يتصوره عقل ولا أن يكون له مثيل وبذلك يتحقق ان المعذب به من غير أنواع المعذبين في الدنيا وان المعذب أيضا ليس كالمعذبين في هذه الحياة وبهذا التأويل يتحقق العموم الذي ارتضاه كثير من المفسرين وينتفي تخصيص فرد معين عنته الآية كإبليس أو أمية بن خلف وغيرهما كما قال بذلك بعض أهل التأويل ثم تختم السورة بهذا النداء الرحيم الكريم الذي يوجهه المولى سبحانه إلى الأرواح الطاهرة الهادئة الموقنة الواثقة بما عند الله بان تدخل في زمرة أحباب ربها وتدخل في رضوانه وحنانه سواء أكان هذا النداء موجها لأصحاب النفوس المطمئنة عند ارادة نزعها وخروجها من عالم الفناء أو عند ارادة ادخالها للنعيم الدائم في جنان الخلد فهو البشارة الخالدة لأصحاب النفوس الطاهرة الذين سوف تكون مغادرتهم للعذاب والشقاء ودخولهم في الخلد والنعيم والتنعيم بمجرد انتهاء سفرة الحياة.. وهذا النغم القدسي الذي تردده ملائكة الله هو لحن الخلود الذي تشنف به آذان الأبرار من عباد الله، فلقد قال أبوبكر رضي الله عنه عندما سمع الآية ما أحسن هذا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم (**ان الملك سيقولها لك يا أبا بكر**) قال الحسن البصري رضي الله عنه ان الله تعالى (إذا أراد الله أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله واطمأن إليها).

وقال عمرو بن العاص (اذا توفي المؤمن ارسل الله إليه ملكين وارسل معهما تحفة من الجنة فيقولان لها (اخرجي ايتها النفس المطمئنة راضية مرضية ومرضيا عنك اخرجي إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح مسك وجده احد في انفه في الدنيا).

كلمة معالي الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه
في افتتاح ملتقى الرابع للمؤتمر الافريقي لتعزيز للسلم[1]

التعليم العتيق في إفريقيا العلم والسلم

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن بيه
رئيس منتدى أبو ظبي للسلم

فخامة الرئيس، يسعدني في مستهّل كلمتي هذه أن أتقدم باسم الحاضرين بجزيل الشكر لفخامتكم، ولحكومة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، على الرعاية الكريمة لهذا المؤتمر.

كما نرحب بضيف الشرف لهذه السنة **فخامة الرئيس أداما بارو** في شخصه الكريم، وفيما تمثله جمهورية غامبيا، الدولة الإفريقية الشقيقة والصديقة من نموذج جميل يستحق التقدير والتبجيل.

فخامة الرئيس، إنني إذ أبلغكم تحايا أخيكم **صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان**، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، أودُّ التأكيد على أن أشقاءكم في الامارات يشاطرونكم الاهتمام الكامل والعمل الدائب معكم لإيقاف الحرب الهمجية على أهلنا المستضعفين في غزة، كما يقومون بجهود حثيثة من أجل إيصال المساعدات إليهم، وتوفير سقيا الماء والغذاء والدواء. ومن ذلك ما تم من إنشاء محطة تحلية لمياه البحر لسقيا الآلاف من ساكنة غزة، وتدشين مستشفى ميداني لعلاج الجرحى والمصابين، واستقبال الآلاف من الأطفال المصابين وذويهم وأصحاب الأمراض المستعصية للعلاج في الامارات. سائلين المولى القدير – سبحانه وتعالى- أن يكلِّل تلك الجهود بالنجاح، وأن يكشف الضرّ ويكفّ الشرَّ ويُنزل لطفه وينشر رحمته، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

(1) نواك الشط، موريتانيا، أيام 9 ـ 10 ـ 11 جانفي 2024.

كما يسرني في مستهل هذه الكلمة أن أحيي المشاركين في هذا المؤتمر من قادة وعلماء ووجهاء على تلبية الدعوة، متمنياً لكم مقاما سعيداً وأوْبا حميداً.

سياق المؤتمر:

أيها العلماء الأفاضل والجلة الأماجد،

لماذا هذا المؤتمر؟ ولماذا اختيار هذا الموضوع على وجه التحديد؟ ثم كيف نقدم نتيجة أقرب إلى العملية لفائدة مشروعنا القديم المتجدد، مشروع السلم الأهلي في ربوع قارة أحوج ما تكون للسلام والارتفاع عن وهدة الاحتراب والخصام؟

ملتقانا هذه السنة محطة جديدة على دروب السلام، التي سلكها المؤتمر الإفريقي في بحثه الدائم عن أسباب الوئام والأمن، والعافية والسكينة، متنقلاً بين الموضوعات، ومتحرياً أفضل المقاربات، بدءا من المؤتمر الأول في يناير 2020، الذي ارتكز على «**دور الإسلام في إفريقيا: التسامح والاعتدال ضد التطرف والاقتتال**»، مرورًا بالمؤتمر الثاني في فبراير 2022 بعنوان «**بذل السلام للعالم**»، وصولاً إلى المؤتمر الثالث في يناير 2023 تحت شعار «**ادخلوا في السلم كافة**».

وهكذا جاء اختيار موضوع هذا المؤتمر ضمن بحثنا عن معززات السلام وأسباب الوئام من خلال تناول أحد أهم مرتكزات مقاربة السلم وهو مرتكز التعليم والتربية، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ وقوله ﷺ (وإنَّ المَلائكةَ تَضَعُ أجنِحَتَها لطالِبِ العِلْمِ رِضًا بما يَصنَعُ)، إذ التعليم هو أهم وسيلة لغرس ثقافة التسامح في النفوس وبناء قيم السلم والتصورات الإيجابية التي تضبط وتكبح جماح النفوس الميالة إلى العنف، فالتطرف والعنف كثيراً ما ينشآن من ضعف العلم، وضعف التربية، وضعف الحال... هذا الثلاثي من الجهل، والجهالة، والفقر.

وقد اخترنا على وجه الخصوص التركيز على ما أبدعته التجربة التاريخية للمجتمعات الإفريقية من مؤسسات تعليمية أهلية، كانت وما تزال في كثير من الأحيان جذورا للمعرفة المؤصّلة وجسورا للتواصل والتعايش السعيد، وحصونا منيعة في وجه الغُلو والتطرف، وحواضن لقيم السلم والأخوة، وروافد للهوية الإفريقية الإسلامية الأصيلة.

وهكذا سيكون حديثنا في هذه الكلمة حول ما يلي:

أولاً: السياق التاريخي للتعليم العتيق.

ثانياً: حال التعليم العتيق في الوقت الراهن.

ثالثاً: تساؤل حول مستقبل التعليم العتيق ومقترحات لاستدامته.

أولا: السياق التاريخي

إننا نقصد بالتعليم العتيق في هذا السياق، أساليب وممارسات التعليم والتربية التي أسهمت في نقل المعرفة وتشكيل الثقافة في المجتمعات على الطريقة التقليدية في تدريس العلوم وبناء المعارف في مختلف المستويات، مهما كانت التسمية كجامعة كما في الأزهر والقرويين والزيتونة أو تحت عناوين الخلاوي والزوايا والمحاظر أو دارا في دول أخرى.

وهذا التعليم العتيق، هو تجسيد لإرث ممتد من حلقات تعليم القرآن في المسجد على طريقة أبي الدرداء رضي الله عنه في مسجد دمشق، وحلقات الحديث والفقه في المسجد النبوي الشريف والحرم المكي. ولذا فإن تاريخ التعليم العتيق في القارة الافريقية بامتداد حضور الإسلام فيها، ضارباً خيامه ورافعا أعلامه في أرجائها، تدريسا للدين، وتزكية للمؤمنين. وهكذا فلم ينته القرن الأول الهجري، الا ومدارس العلم وحلق الذكر، تنتشر في كثير من أنحاء القارة، كما تنتشر الأزهار في الرياض، ويفوح عبيرها في الآفاق علماً نافعاً وعملاً صالحاً.

«وبعدُ فالعلمُ أهمُ ما الهِممْ ❋ تنافَسَتْ فيهِ وَخَيرُ مُغتنَمْ»

وهكذا بدأت حلق العلم في مصر، ومجالس المعرفة في القيروان، وتبعتهما مدائن القارة بين عالم ومتعلم، وفقيه ومحدث ومتكلم. وسارت مدارس التعليم العتيق في القارة من شرقها إلى غربها مسير النهر العظيم تنمو على ضفافه الدافق المعارف، وتنبت على جوانبه القيم والأخلاق. وكان النهر في مسيره يتسع في مراحل فيكون كأنه بحيرة كبرى ويضيق في مناطق حتى كأنه بركة صغرى، متفاعلاً متلوناً بلون تربته، وفياً لمنبعه. وهكذا كانت مراكز التعليم العتيق منها الجامعات التي تدرس مختلف العلوم والفنون (كالأزهر، والزيتونة، والقرويين وتمبكتو وولاته وشنقيط)، ومنها المحاظر والمدارس المتوسطة، ومنها الكتاتيب وحلق التعليم الأساسي، وفق مسيرة الزمان والمكان، وقد يتحول الكُتّاب في زمن إلى جامعة عامرة، والجامعة إلى كُتّاب في زمن آخر...في صيرورة دائمة وحركة دائبة!

ولقد ظل التعليم العتيق لقرون المصدر الأوحد للمعرفة الدينية والدنيوية في القارة الافريقية. فكانت تُدرّس في مدارسه العلوم والمعارف بشتى فروعها، من علوم الشرع إلى الحساب والفلك، بل يُدرِّس الطب كذلك، كما في الوثيقة الشهيرة لإجازة الطبيب صالح الكتامي من القرويين بمدينة فاس في القرن السابع الهجري. هذا بالإضافة إلى اختصاص بعضها بالتربية والتزكية.

ومع تعدد العلوم والمعارف، تعددت طرق التدريس وطقوسها، فمن قاعات للدرس في مقار معدة لذلك، إلى الدراسة في سوح المساجد وأروقتها، إلى التدريس تحت أشجار

الدوم، أو في جامعات متنقلة تنتجع الخصب على ظهور الدواب والنجائب:

«قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة ❋ بهـــــا نــبينُ دينَ الله تبيانا»

في مظهر جميل من مظاهر «البادية العالمة»!

ولقد تميزت هذه المدارس والمراكز بمزايا ومواصفات ومنها: الحرية والمجانية والمساواة والشمولية.

1. **الحرية**: فطلاب التعليم العتيق أحرار في اختيار العلم والفن الذي يدرسونه والمنهج الذي يفضلونه والشيخ الذي يتلقون على يديه، والفترة التي يقضونها.

2. **المساواة**: المدارس العتيقة لا يسأل فيها الإنسان عن نسبه ولا عن حسبه، بل لكل أحد الحق في الانتماء إليها، كل بحسب مقدرته وموهبته، ولذا تنمحي الفوارق الطبقية، فالذي يتفوق تصبح له مكانته المتميزة دون النظر إلى خلفيته الاجتماعية، كما أن فوارق السن لا تأثير لها فالشيخ الكبير قد يجلس مع الغلام الصغير يدرسان نفس الدرس، كما يتصدر الشاب الحدث الذي شهد له بالكفاءة.

3. **المجانية**: مراكز التعليم العتيق في غالبها لا تأخذ رسوما من منتسبيها فالموسر من الطلبة ينفق على نفسه والمقتر (الغريب) ينفق عليه الشيخ أو زملاؤه أو أهل الحي.

4. **الشمولية**: فهذه المدارس إلى جانب تدريسها للعلوم والمعارف فإنها تربي الطلبة على الأخلاق الفاضلة، والاعتدال في السلوك وحسن السمت. كما تربيهم على تقاليد قومهم ومجتمعهم فهي من هذه الناحية مصدر من مصادر الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمعات المحلية.

لكن أهم مزايا هذه المدارس هو استيعابها لمختلف القبائل والأعراق دون تمييز ولا تنغيص في تعايش سعيد، يربي على الأخلاق والفضائل، ويساهم في السلم والعافية. فإلى جانب الثمرة العلمية والمعرفية الجلية للمدارس العتيقة فإن من أهم نتائجها الهامة كمؤسسة تعليمية هو الحفاظ على السلم الأهلي وتعزيز الاعتدال والوسطية وذلك من خلال مناهجها التقليدية المتفق عليها بين المسلمين وطريقتها البعيدة عن الايدلوجيات الوافدة، وتركيزها على العلم والتعليم، فالعلم والمعرفة يعينان في الغالب على البعد عن الغلو والتطرف، يضاف إلى ذلك أن كثيرا منها يعنى بالتربية الروحية والتي تحصن سالكيها من آفات الكراهية ومخاطر الإرهاب.

إنها قصّة نجاح حضاري متجدّد أمدَّ المُجتمعات المُسلمة بالمرجعيات المأذونة شرعا والمأمونة فكرا ومنهجا، وبالوعي الديني المعتدل.

ثانيا: السياق المعاصر

المشاركون الأفاضل،

لكن؛ ما هو واقع هذه المؤسسات التعليمية اليوم؟ ما هي وضعية المناهج؟ ما هي صلتها بمؤسسات التعليم العصرية من جهة وبالواقع المعاصر (قضاياه ومستجداته وتعقيداته) من جهة أخرى؟ لقد شكل دخول نظام التعليم الحديث في سياق تاريخي معروف (منذ القرن السادس عشر الميلادي على تفاوت بين دول القارة، وبعضها دخله فقط في القرن التاسع عشر أو العشرين)، بداية انحسار للتعليم العتيق في ظل تغيير البيئة الاجتماعية الحاضنة له، واختلال الدورات الاقتصادية التي كانت تمده بالموارد، وعزوف نسبة من الطلبة عنه استجابة لسوق العمل الذي يستوعب بالدرجة الأولى حاملي الشهادات العصرية.

ولم يزل التفاعل قائما بين التعليم الحديث منذ دخوله القارة وبين التعليم العتيق، تنافساً في أحيان، وتغالباً في أحيان أخر، ومحاولة للتطوير الطوعي أو القسري، فنجحت محاولات، ولم تنجح أخرى، وفق عوامل سياسية واجتماعية متعددة تحكم طيف المتجمعات الافريقية المتعددة.

ولقد نشأت مراكز التعليم العتيق في بيئة تقوم على توازن مجتمعي معين، وتضامن تقليدي، سمح لهذه المدارس أن تنمو نموا طبيعيا وذاتيا.

وعلى العكس من ذلك، تغيرت البيئة في نطاق العولمة بفعل الوسائط الإعلامية والاتصالات. كما أن التوازن الاجتماعي الوظيفي اختل مع الوقت، وكذلك فإن التوازن التقليدي الذي كان يسمح باستيعاب أبناء المدارس العتيقة في سوق العمل لم يعد منتظما في ظل طلبات ملحة لسوق العمل على تخصصات أخرى.

على أنه ما زال لهذا التعليم العتيق وجوده وجهوده في المجتمعات الافريقية، ومازالت نسب معتبرة من الناشئة تدرس في مدارسه إما أصالة وإما عبوراً وإما بالتوازي مع الدّراسة في المدارس العصرية، وتقدر بعض الإحصاءات نسب المنتسبين له سواء في صيغه الرسمية أو الأهلية في بعض دول غرب إفريقيا في حدود 30 ٪ من الناشئة الذين في سن التمدرس. وليس أدل على ذلك من وجود العشرات من طلبة هذه المدارس العتيقة من دولة غامبيا الشقيقة بيننا اليوم.

وإذا كانت هذه المراكز قد أسهمت في الماضي والحاضر القريب فيما ذكرناه من اعتدال وضمان للسلم المجتمعي فإن الحاجة اليوم إليها أعظم.

« لكنه لكل دهر قوم ❋ والدهر منه أمسه واليوم»

ثالثاً: مستقبل التعليم العتيق

أيها السادة الأجلاء،

واليوم ونحن نبحث التعليم العتيق ونبحث بعثه واستدامة إشعاعه المعرفي، نتسأل عن حاضره ومستقبله، عن كيف يمكن أن يستمر في أداء دوره والقيام بواجباته، وكيف يمكن أن يظل دعامة من دعائم السلم والعافية والسكينة؟ وكيف يمكن أن يسهم في استباب الامن ونشر العلم؟ كيف لهذا التعليم أن يبقى مناسباً أو ملائماً في عصر الذكاء الاصطناعي وثورة التقنيات والاتصالات؟ هل يمكن أن يستفيد من هذه الأدوات لدعم وتطوير منظومته؟

هل يمكن أن يكون مكملاً للتعليم الحديث بالاستفادة من وسائله وأساليبه وإفادته بمنهجيته الشمولية في التربية والتعليم؟ في تكامل وتعايش سعيد بين العتيق والجديد.

وأخيراً، كيف يمكن أن يحقق التعليم العتيق وسائل استدامته من خلال تطوير أطره البشرية (تعليماً وتأهيلاً)، وموارده المالية (تحصيلاً وترشيداً)، وعلاقته بالسوق من خلال المؤسسات المستقبلة لطلبته وخريجيه تدريباً وتوظيفاً. **إن الإجابة على هذا الثلاثي: الكادر البشري والمورد المالي والتوظيف هي أكبر التحديات التي تواجه استدامة هذا التعليم.**

وفي هذا المقام، فلن أقدم إجابات تدعي الكمال، وإنما مقاربات على سبيل المثال:

أولا: المورد البشري:

إن القائمين على التعليم العتيق حصّلوا علومهم بجهود شخصية وأسرية، في بيئات متباينة، لم يتلقوا خلال ذلك كله تدريبا في مؤسسات عصرية ولم يخضعوا لتأهيل تربوي حديث، مما يستدعي عملاً وتَعمُّلاً وقد يكون من المعين على ذلك التعاون مع بعض الجامعات والمعاهد والجهات العلمية العصرية، لإعداد دراسات استقصائية تحدد الاحتياجات التدريبية والتطويرية لأساتذة التعليم العتيق وتقترح وسائل التأهيل والتدريب وتعقد الشراكات مع الجهات الملائمة للقيام بالبرامج والدورات اللازمة.

ثانياً: المورد المالي:

وهذا المورد ضروري لمشاريع التعليم العتيق، وإن كان هذا التعليم في الأصل قائماً على التضامن الاجتماعي الطوعي، ومن خلاله كان الإنفاق على اساتذته وطلبته متحصلاً، فإن تبدل الأحوال وتغير الزمان يفرض واقعا جديدا، ويقتضي وسائل مختلفة. والتجربة التاريخية تدل على أن الدعامة الكبرى والمورد الثرّ هو **الوقف** الذي هو مؤسسة من أهم المؤسسات في التاريخ الإسلامي. فالأوقاف على تنوع مصدرها سلطانية أو أهلية كانت هي الرافد الأبرز لدُوُرِ العلم الكبرى في التاريخ الإسلامي. وقد تعجبون أن الأوقاف الآن في ديار الغرب تلعب الدور نفسه فهي أهم دعامة وأكبر رصيد للجامعات ذات الشهرة في

العالم سواء في أمريكا أو بريطانيا على سبيل المثال.

وبالإضافة للأوقاف التي هي مورد هام، هناك مورد أخر هو **الزكوات**، فمن العلماءِ من يقول إن المؤسسات التعليمية داخلة في سهم «في سبيل الله»، وهو قول القفّال وغيره من متأخري فقهاء الشافعية، وبه أفتى كثيرٌ من العلماء المتأخرين، والذي يمكن أن نقول به بلا تردد أن أساتذة وطلبة هذه المدارس أولى بالزكاة من غيرهم، إن كانوا فقراء قطعاً، وإن كانوا أغنياء على رأي، والخلاف في هذا مذكور في كتب الحنفية والمالكية كما قرره الزرقاني ورد عليه البناني وتعقّب رد البناني الوزاني. وهكذا يمكن أن نتصوّر مبادرة بالتنسيق مع الجهات الحكومية المختصة في كل بلد لتطوير هذه الموارد المالية وحسن تدبيرها وإنفاقها.

ثالثاً: المأسسة والتوظيف:

وهذه حاجة يمليها العصر وتقتضيها مصلحة المدارس والمجتمع. ومن هنا فمن الضروري أن يتوصل القائمون على مراكز التعليم العتيق مع إخوانهم في القطاعات الحكومية المعنية في كل دولة إلى صيغ قانونية موائمة تؤطر عمل هذه المراكز والمدارس وتنظمه، وتحفظ لها خصوصيتها ومزاياها. صيغاً تفتح لهذه المدارس ومنسوبيها فرص الاستفادة من تمويلات الدولة وتسهيلاتها، وتتيح الالتحاق بالجامعات والمعاهد لطلابها وخريجيها، كما تساعد على تطوير طرق الإدارة في هذه المدارس والإشراف عليها.

وإلى جانب ذلك، ينبغي الوصول إلى صيغة تساهم في الاستفادة من خريجي هذا النوع من التعليم في سوق العمل. إما مباشرة أو من خلال برامج تدريبية وتأهيلية مُصَممة لهم، وذلك بالتنسيق مع القطاعات المحتاجة إليهم، من قطاعات الائمة والمؤذنين، والقضاء والتعليم، ومختلف قطاعات سوق العمل الأخرى، وجهات العمل الخاص والحر.

في سياق تنمو فيه مدارس التعليم العتيق مُوائمة بين الأصالة والمعاصرة، ومشاركة في الازدهار والتنمية، ومستمرة كوسيلة من وسائل السكينة في المجتمع والمحافظة على قيم الإسلام الحنيف، قيم التسامح والاعتدال بعيداً عن التطرف والغلو.

إننا نتطلع إلى أن يثري نقاشكم خلال أيام المؤتمر هذه المواضيع، وتخرجوا لنا بتوصيات علمية وعملية تسهم في تحقيق المراد.

أجدد شكري لفخامة الرئيس السيد محمد ولد الشيخ الغزواني رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية على رعايته الكريمة لهذا المؤتمر، وأدعو الله أن يحفظ الأوطان، وينشر الأمن والأمان، ويصلح الأعمال، ويحقق الآمال، وأن يجعل اجتماعنا اجتماع خير وأن يكلِّله بالنجاح والتوفيق. وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البيان الختامي للملتقى الرابع للمؤتمر الافريقي لتعزيز السلم

نواكشوط 27-29 جمادى الآخرة 1445 هـ، 9-11 يناير 2024م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد،

فانطلاقا من قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وقوله صلى الله عليه سلَم (**وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**).

وايمانا بان العلم والسلم قرينان لا ينفصلان، وصنوان لا يفترقان، واستشعارا للحاجة إلى استعادة التعليم الاصيل في تعزيز فاعلية الاسلام الكبرى ووعيا بأهمية التربية والتعليم في استئصال الفتن من النفوس، واجتثاث نزعات الحروب من العقول قبل أن تتحول إلى أفعال تدمّر البلاد وتفني العباد،

واستثمارا لما راكمه المؤتمر الافريقي من نتائج في دوراته السابقة، وما ظل يسعى له من توفير فضاء للعلماء والباحثين العاملين على نشر رسالة السلم والتعاون على الخير في القارة.

وتفعيلا لمخرجات إعلان نواكشوط التاريخي 2020 الذي أوصى بحماية المؤسسات التقليدية (مثل المدارس المحلية، والزوايا)، وإحياء دورها الفعال في تقوية النسيج الاجتماعي وحفظ الهوية الدينية والثقافية وتمتين وشائج القرابة والجوار في المجتمعات الافريقية،

انعقد بنواكشوط الملتقى الرابع لـ «**المؤتمر الافريقي للسلم**» تحت شعار «**التعليم العتيق في افريقيا: العلم والسلم**» من 27 إلى 29 جمادى الاخرة سنة 1445 هـ الموافق لـ 9 إلى 11 يناير 2024م، برعاية كريمة من فخامة الرئيس **السيد محمد ولد الشيخ الغزواني**، رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية وبدعم كريم ومتواصل من دولة الامارات العربية المتحدة وبإشراف **معالي العلامة الشيخ عبد الله بن بية** رئيس المؤتمر الافريقي لتعزيز السلم، رئيس منتدى أبو ظبي للسلم. وشارك في أشغال الملتقى حشد غفير ما بين رؤساء ووزراء وممثلي أنظمة امنية، ومسؤولي منظمات

اسلامية، وسفراء وممثلي هيآت حكومية ومراكز ومنظمات دولية، ومفتين، وعلماء، وقضاة، ومفكرين، وأكاديميين، وإعلاميين وغيرهم، فضلا عما حظي به الملتقى من متابعة الآلاف لجلساته وأعماله عبر المنصات الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي.

وقد افتتح الملتقى بكلمة ضافية لفخامة الرئيس **محمد ولد الشيخ الغزواني**، رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية، ثمن فيها موضوع الملتقى، مبينا أن التعليم العتيق يعني الكثير للموريتانيين، «**فهنا نشأ، ومنذ قرون، نظام تعليمي عتيق، فريد في خصائصه التنظيمية، وأساليبه المنهجية، جسدته المحاظر الشنقيطية**». وذكر رئيس الجمهورية أن هيئات «**هذا التعليم في القارة الافريقية، يجمعها، على تنوع مسمياتها وصيغها التنظيمية، بذل العلم للجميع، في إطار من مطلق المساواة، مهما اختلفت الاعراق، وتباينت الهويات الحضارية. كما يجمعها الحرص على مدّ جسور التلاقي بين المجتمعات، وتعزيز السلم الاهلي،والحرص على اللحمة الاجتماعية، بنشر قيم العدل، والمساواة، والتسامح والإخاء. ولا يرسخ هذه القيم في النفوس والمجتمعات كمثل التعليم العتيق**».

كما القى معالي العلامة **الشيخ عبد الله بن بية** رئيس منتدى أبو ظبي للسلم كلمة تأطيرية في مفتتح الحفل، حدّد فيها موضوع المؤتمر:

«**لقد اخترنا أن يكون عنوان لقاء هذا العام «التعليم العتيق: العلم والسلم»، إبرازا لما قامت به مراكز ومدارس التعليم العتيق على مرّ العصور من دور في نشر العلم والمعرفة في القارة، وما أسهمت به من جهد في استتباب السلم المجتمعي، والتالف بين مختلف شرائح المجتمعات المحلية، وتدارس كيفية استدامة جهود العلم والسلم في الحاضر والمستقبل**».

مؤكدا أن ملتقى هذا العام «**محطة جديدة على دروب السلام، التي سلكها المؤتمر الافريقي في بحثه الدائم عن أسباب الوئام والأمن، والعافية والسكينة**».

وقد شهد المؤتمر تسليم جائزة السلم في افريقيا لهذا العام لفخامة الرئيس **أداما بارو**، رئيس جمهورية غامبيا، تكريما لجهود فخامته وجمهورية غامبيا المشهود في نشر السلم الاقليمي والدولي والنجاح الذي حققه في ترسيخ قيم التعايش السعيد داخل المجتمع بمختلف أعراقه.

وبعد انتهاء الجلسة الافتتاحية باشر المؤتمرون في جلساتهم العامة وورشهم معالجة جوانب تبحث سُبل تحقيق الشعار الذي رفعه المؤتمر الافريقي لهذا العام: **العلم والسلم**. ومن بين المحاور الكبرى التي تم التركيز عليها ما يلي:

*التعليم العتيق في افريقيا جذور المعرفة وجسور التواصل

*التعليم العتيق وتعزيز السلم: الرسالة والمناهج في مواجهة التطرف
*التعليم العتيق في السياق المعاصر: تحديات وفرص
*التعليم العتيق والتعليم الحديث نحو التعاون والتكامل
*دور المؤسسات التعليمية في تعزيز السلم.

كما أقيمت على هامش الملتقى قمة «**المراة والشباب: التعليم العتيق المرأة والشباب، التكوين والتحصين**».

وبعد تبادل وجهات النظر في القضايا المدروسة، خلص المشاركون في الملتقى الرابع للمؤتمر الافريقي لتعزيز السلم إلى ما يلي:

أولا: النتائج:

1 -بيان خصوصية هذا المؤتمر وأهمية موضوعه ونوعية المشاركين فيه والظرفية الزمنية العصيبة التي انعقد فيها والتي تشهد وضعا اقليميا ودوليا شديد الاضطراب مما يرفع مستوى التحديات التي تواجه ساكنة القارة بشكل خاص والبشرية بشكل عام.

2 -تجلي راهنية موضوع المؤتمر في ارتفاع وتيرة التحديات التي تفرض نفسها على العالم عموما وعلى القارة الافريقية خصوصا، في عصر الفردانية، والمؤسساتية، والدولة الوطنية، والعولمة، عصر الحريات الفردية، وذلك في سياق كلي الزمان الذي بات يشهد اختلال المرجعيات، وضمور الهوية الدينية، وامتزاج الأمم والثقافات، وفشوّ ثقافة العنف وقيم الفوضى، لتجد المدارس العتيقة نفسها أمام تحديات كبيرة، تحديات وجودية تهدّد استدامتها الفعلية، بمساءلة وظائفها المجتمعية، والتقليل من جدوى مناهجها التربوية.

3 -بيان الحاجة الجادة إلى فتح آفاق تعاون جديدة وحوار نافع بين صناع القرار والقادة الدينيين والنخب المجتمعية المختلفة والشركاء المحليين والاقليميين والدوليين من أجل البحث عن أفضل السبل التي يمكن من خلالها للتعليم العتيق أن يستعيد دوره كاملا وفاعلا في تعزيز السلام وروح الوئام وتقوية مناعة الشباب ضد الأفكار المتطرفة والتيارات المأزومة الهدامة.

4 -التأكيد على حاجة المجتمعات الافريقية إلى دراسات وصفية تشخيصية لوضعية التعليم العتيق ضمن سياقاتها الحضارية والزمانية والمكانية المتنوعة، وذلك لرصد عناصر القوة التي يجب تعزيزها، وكشف مواطن الاختلال التي يجب العمل

على إعادة إصلاحها وتجديدها، من خلال استراتيجيات جديدة تمزج بين الروح الأصيلة والآليات الحديثة على المستوى البشري والمادي والتقني.

5 -بيان أن الفرص لا تزال قائمة لاستعادة التعليم العتيق وحضوره الايجابي ومكانته البناءة في صلاح الانسان والاوطان، وهو ما يلزم معه تجديد الرؤية التي يقوم عليها، وفق الشروط الدينية والحضارية والتاريخية، والخصوصيات المحلية والاقليمية القارية، والامتدادات الجغرافية والروحية الإسلامية.

6 - ايضاح الحاجة إلى وضع خطة منهجية واقعية وواعية لتطوير مناهج التعليم العتيق انطلاقا مما راكمه من تجارب ايجابية بما يؤهل مخرجاته لتلبية حاجيات سوق العمل، وبما يدعم قدراته وقوته وتماسكه في إعادة بناء حصون السلم في النفوس وإعداد العقول لأداء الدور الايجابي في الاستقرار والازدهار والابتكار.

7 -إثبات حاجة التعليم العصري في الجامعات الإسلامية إلى الاستمداد من التعليم العتيق لتجويد مخرجاته العلمية، وبالمقابل حاجة التعليم العتيق إلى الخروج من دائرة التقوقع والمساهمة الايجابية في واجب المدافعة الدينية والفكرية والانسانية لصدّ موجات التطرف والغلو والالحاد والانحراف عن الفطرة السوية، وذلك في مواجهة كل ما يخلّ بالنظام العام المحلي.

8 -استلهام التجارب التاريخية التي تجلي فيها أن التعليم العتيق قد أسهم في صناعة المرجعيات الدينية، وفي بناء خطاب ديني معتدل يقيم الميزان والموازنة والتوازن بين الثوابت والمتغيرات، حيث أمدّ المجتمعات المسلمة بالوعي الديني المعتدل وبالمرجعيات المأذونة شرعا والمأمونة فكرا ومنهجا.

9 -استحضار التجربة التاريخية التي بينت أن مؤسسات التعليم العتيق تمتعت بقدرتها على حماية الوحدة الاجتماعية، والنسيج الوطني للمجتمعات التي نشأت فيها، وأنها ظلت قادرة على رعاية الحوارات الوطنية والمجتمعية، مما يؤكد قدرتها على أن تكون جزءا لا يتجزّأ من بنية الدولة الوطنية المعاصرة للقيام بنفس الدور التاريخي، انطلاقا من القيم الإسلامية السمحة.

10 -التأكيد على ضرورة أن تكون مناهج التعليم العتيق قادرة على تكوين الملكة النقدية والتفكير الابداعي لدى منتسبيها، في امتزاج تام بين الاصالة والمعاصرة، وتأهيل كوادر التعليم العتيق ومنتسبيه في الجوانب التكنولوجية والابداع الرقمي والمبادرة التقنية، ليكونوا قادرين على القيام بدورهم واستعادة مكانتهم ضمن أنماط التعليم الراهن الذي توفره الدولة الوطنية.

ثانيا: التوصيات:

وقد خلص المشاركون في الملتقى الرابع للمؤتمر الافريقي لتعزيز السلم إلى جملة من المقترحات والتوصيات:

1. التعريف بالتجارب التعليمية الايجابية والناجحة في مؤسسات التعليم العتيق على مستوى قارة افريقيا باعتبارها محاضن للعلم وحواضن للسلم.

2. تشجيع إنشاء الاوقاف الاهلية والحكومية لدعم الطلبة والعلماء، ولتوفير موارد مالية تساهم في استدامة مؤسسات التعليم العتيق في القارة.

3. الدعوة إلى تعزيز الترابط بين التعليم العتيق والتعليم الحكومي في افريقيا، من حيث اعتماد مناهجها، واعتبار مخرجاتها، وتطويرها والارتقاء بها، كونها رافدا علميا مهما.

4. العمل على توفير فرص عمل لخريجي التعليم العتيق، لتوثيق الصلة به، وتأكيد الثقة فيه، وحرصا على استدامته، مع التطوير والتأهيل لخريجيه بما يناسب سوق العمل، بالتعاون مع الجهات المختصة.

5. التوصية بتطوير مخرجات التعليم العتيق من خلال تقديم المنح البحثية الدراسية في جامعات كبرى، لتطوير مهارات الطلبة والارتقاء بوعيهم واستثمار معارفهم استثمارا يتناسب مع عصرهم.

6. العمل على مشاريع توثيق بصري وسمعي ومكتوب لمؤسسات التعليم العتيق، بحيث تحصل بمجموعها ببليوغرافيا التعليم العتيق، تضم في طياتها: المناهج والمقررات، البرنامج التدريسي اليومي، سير الاساتذة والمدرسين في الماضي والحاضر، وجانب البناء العمراني.

7. التوصية بتعزيز الشراكات والاتفاقيات مع المؤسسات التعليمية الدولية والمنظمات المانحة للوصول إلى الموارد والخبرات والدعم للمبادرات التعليمية العتيقة في القارة.

8. التوصية بإنشاء منصة رقمية لتوفير المصادر التعليمية وتقديم الخدمات الاستشارية لمؤسسات التعليم العتيق.

9. إنشاء جائزة لاختيار افضل مدارس التعليم العتيقة في القارة، ووضع معايير تسهم في تحسين وتحديث منظومتها الادارية والمالية.

10. توسيع التعاون وتبادل الخبرات بين مؤسسات التعليم العتيق وتشجيع تبادل الطلاب بينها مما من شانه تقوية أواصر الأخوة وبناء جسور المعارف.

11 .التنسيق مع الجامعات المرموقة في القارة للقيام بسلسلة من الندوات والورش الاكاديمية لتعميق البحث العلمي في مفاهيم السلام والتعايش بين مختلف مكونات المجتمع، واستمداد بعض طرائقها من التعليم العتيق.

12 .العمل على تطوير وتحديث مناهج التعليم العتيق وتزويدها بالمعارف والمفاهيم والرواية الصحيحة بما يتناسب وخصوصيات الاجيال الناشئة واستثمار التطبيقات المعلوماتية لتسهيل الفهم وتسريع وتيرة التعليم.

13 .الاستفادة من الدراسات التي قامت بها المنظمات الدولية والاقليمية ذات الاختصاص في مجالات التربية والتعليم والثقافة من أجل التعليم العتيق.

14 .تعزيز الشراكات والتعاون، وتنسيق الجهود بين الهيئات والمنظمات العاملة في مجال التعليم وصناعة السلم في القارة.

15 .تمكين أساتذة التعليم العتيق من المعرفة والمهارات اللازمة من خلال إنشاء مراكز تكوين تراعي خصوصيات التعليم العتيق في إطار من التقنيات الحديثة في مجالات المعرفة والتعليم.

16 .تعزيز وتفعيل دور الشباب والنساء في بناء السلم المحلي، وتطوير التعليم العتيق والإسهام في رسم السياسات وبناء الشراكات لتعزيز استقرار المجتمعات وحفظ السلم فيها.

ويطيب للمشاركين في الملتقى الرابع لـ «المؤتمر الافريقي لتعزيز السلم» أن يعبروا عن صادق شكرهم وجزيل عرفانهم لحكومة الجمهورية الإسلامية الموريتانية على رعايتها الكريمة، ويرفعوا عبارات امتنانهم إلى فخامة الرئيس محمد ولد الشيخ الغزواني على كريم العناية وجميل الرعاية التي حظي بها ضيوف هذا المؤتمر.

كما يشكرون دولة الامارات العربية المتحدة على دعمها المستمر ورعايتها الكريمة لمبادرات وجهود السلم في افريقيا والعالم اجمع،ويتوجهون بعظيم الامتنان إلى القائمين على المؤتمر الافريقي لتعزيز السلم على جهودهم المتميزة في إنجاح أعمال هذا المؤتمر. داعين الله أن يحفظ الاوطان، وينشر الأمن والأمان، ويصلح الاعمال، ويحقّق الامال، إنه ولي ذلك والقادر عليه.والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وحرّر بنواكشوط في 29 جمادى الآخرة 1445 هـ الموافق لـ 11 يناير 2024م

لجنة البيان الختامي

إصلاح التعليم الإسلامي (الزيتونة نموذجا) كما رسمها سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله في كتاب:(أليس الصبح بقريب؟)

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

إذا كان إصلاح التعليم بصفة عامة لا يثير جدلا كبيرا ولا اختلافا ظاهرا بينا سواء كان ذلك بين أهل الذكر والاختصاص أو عامة الناس باعتبار أن مجالات إصلاح التعليم العام هي مما يدخل في مجال شؤون الحياة الدنيا المتغيرة المتبدلة والمتطورة المتجددة والتي لا يكاد المسلمون يختلفون حول ضرورة الأخذ منها بكل ما من شأنه أن يحقق خيرية أمة الإسلام وعزتها فإن **إصلاح التعليم الديني** بمختلف مراحله واختصاصاته هو الذي لا يزال يحتاج إلى مزيد التمعن فيه باعتبار ضرورته وأهميته ولزومه ولكن أيضا باعتبار دقته ومخاطر الانزلاق والانحراف الواردة فيه لا قدر الله. وهو ما يؤثر سلبا على كل مجالات الإصلاح الأخرى مادية ومعنوية.

لأجل كل ذلك اخترت أن أتطرق إلى إصلاح التعليم الديني (الزيتونة نموذجا) كما يراه سماحة الشيخ الإمام **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله وحتى في هذا المجال لن استطيع أن أحيط بما أراد سماحته أن يأتي به ويرسمه لأبنائه تلاميذ **الزيتونة** وشيوخها على مر أجيالهم المتعاقبة والتي لم تأخذ حظها من التعريف الكافي بها والاستفادة التامة منها سواء كان ذلك على مستوى المؤسسة التي كتبت هذه الوثيقة (**أليس الصبح بقريب**) من اجل إصلاح التعليم فيها أو المؤسسات الشقيقة والشبيهة لها في ديار الإسلام والمسلمين.

ولكأن الأستاذ **عبد الملك بن عاشور** رحمه الله نجل **سماحة الإمام** رحمه الله يشير الإشارة البليغة الذكية ذكاء **آل عاشور**: سلفا وخلفا، عندما أعاد طبع هذا الكتاب الوثيقة قبل سنوات كأنه أراد أن يضعه بين أيدي القائمين على حظوظ **الزيتونة**: fرئيسا وعمداء على

تداولهم للاستنارة بآراء شيخ الإسلام رحمه الله، هذه الآراء التي لم تزدها الأيام والتجارب إلاّ جدة باعتبار أن صاحبها ممن حبته الأقدار في العصر الحديث **ببلوغ درجة الاجتهاد** وممن باعه في علوم الوسائل والمقاصد يوازي ويفوق في بعض الأحيان علوم بعض الأوائل من سلف الأمة الصالح فضلا عما يتميز به من سعة اطلاع على أحوال العصر وعلومه وتجارب الأمم وبالخصوص في مجال التعليم والتربية ويشهد على ما نقول تفسيره الجليل **التحرير والتنوير** وكتابا **مقاصد الشريعة وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام** والكتاب الذي محّظه لإصلاح التعليم الزيتوني: **أليس الصبح بقريب** وكل ما كتب وحبّر قلم سماحة **الشيخ الإمام** رحمه الله واسكنه فراديس جنانه.

يقول سماحة **الشيخ الإمام** في مقدمة هذا الكتاب **(لقد كان حدا بي حادي الآمال وأملى على ضميري من عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف للتفكير في طرق إصلاح تعليمنا الإسلامي الذي أشعرتني مدة مزاولته متعلما ومعلما بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النطاق فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك وبيان أسبابه ولم أنشب أو أزجيت بقلمي في ابتداء التحرير فإذا هو يسابقني كأنه من مطايا أبي العلاء القائل:**

ولو أن المطي لها عقول ** وجدك لم نشد لها رحالا

وصادفت أيام عطلة التدريس الصيفية في ذلك العام فقضيت هواجرها الطويلة وبكرها الجميلة في هذا العمل، مشتغلا به عن محادثة الأحباب وعن دعة التنعم بمغتسل بارد وشراب، حتى وقف بي القلم عند انتهاء الاستراحة في مدة شهرين إلى تحرير جملة كانت مشجعتي على مراجعتي عملي هذا في ثلاثة أصياف وعنونته «أليس الصبح بقريب» وكان من العزم تهذيبه وإصداره فحالت دون ذلك موانع جمة لم تزل تطفو وتركد وتغفو وتسهد غير أني لم ادع فرصة إلا سعيت إلى إصلاح التعليم فيها بما ينطبق على كثير مما تضمنه هذا الكتاب فاستثبت العمل بكثير من ذلك «وبقي كثير بحسب ما سمحت به الظروف وما تيسر من مقاومة صانع منكر ومانع معروف، ما حرك سواكني إلى إبراز هذه الآراء التي كنت أمليتها ونشر الأوراق التي خشيت عليها عواصف الأهواء فطويتها» ص7.

* الشيخ الطاهر ابن عاشور: المنظر والمصلح:

والحمد لله، فإن هذه الأوراق التي خشي عليها **سماحة الإمام** رحمه الله عواصف الأهواء ها هي بين أيدينا مهيأة لكي نستفيد منها ونستنير بها في مسيرة **إصلاح الزيتونة** التي لا تعرف النهاية كما لا تعرف القوالب الجاهزة باعتبار أن سماحته نفسه عندما هيأت له الأقدار الإمساك بمقود **الزيتونة شيخا للجامع الأعظم وفروعه** فإنه يقول **(غير أني لم أدع فرصة إلا وسعيت إلى إصلاح التعليم فيها بما ينطبق على كثير مما ضمنه هذا الكتاب**

فاستتب بكثير من ذلك وبقي كثير).

فلقد رسم **الشيخ الإمام** رحمه الله ملامح الإصلاح في هذه المؤسسة التعليمية المختصة بخبرة وتجربة وبعد نظر وسعة إطلاع لم تتوفر على ما نعلم لمن عاصروه لأجل ذلك تبقى لهذه التجربة خصوصية من حقها علينا أن نعتبرها ونعتمد عليها ونعود إليها للاستفادة منها.

وسماحة الشيخ الإمام رحمه الله لا يخفي مخاطر خوض غمار هذا البحر: بحر الإصلاح المتلاطم الأمواج والمتعدد الجوانب والمتوقف على هذا المقصد الجليل المغفول عنه **(مبدإ إصلاح التعليم)** يقول **الشيخ الإمام (ولطالما كنت أقدم رجلا وأوخر أخرى واعلم أن نور عقلي هو دون إضاءة هاته المجاهل التي صفدت عليها منافذ الأنوار والأهوية الخالصة فامتلأت بالحوامض الرديئة منذ أزمان)** ص6.

ولكن **الشيخ** يمضي في سبيله بعزيمة وإصرار وإيمان واقتدار قياما بواجب النصح للأمة وأداء للأمانة معبرا عن الآراء الجريئة ومقدما من أوجه النقد البناء ما ينم عن شجاعة واعتداد هي شيمة المصلحين قديما وحديثا.

يقول **الشيخ الإمام (إذن كان واجبا علينا خدمة للأمة وتهيئة للنشأة العلمية التي تزين مستقبلنا وتجمّل ماضينا أن ندخل تلك المجاهل نرفع بإحدى يدينا مشاعل النور ونقطع بالأخرى ما يمانع من حجرات العثور فإن لم نصل بعد إلى غاياتها فعسى أن لا نبعد، وإن سلمنا من أن نشقى باللئام فما ضرنا أن لا نسعد ولنا في ذلك كله معذرة العارفين وشهادة وتزكية المنصفين)** ولا شكّ أن **الشيخ الإمام** قد بلغ مبتغاه ومراده وفاز بالحسنيين فقد شهد له وزكاه المنصفون وكتب اسمه بأحرف من نور في تاريخ **مؤسسة الزيتونة** العريقة وبقي أثره في تلك الأجيال المتعاقبة من قادة الفكر والرأي والعلماء الأعلام المصلحين الأخيار.

* منهج يجمع بين المعقول والمنقول:

ودون أن ندخل في تفاصيل هذا الكتاب الوثيقة والمنهج «**أليس الصبح بقريب**» لا يمكن إلا أن نشير ونلفت الاهتمام إلى المنهج المبني على المعقول الذي يقدمه **سماحة الإمام** على المنقول لمزيد حصول الاقتناع ولينتهي رحمه الله إلى **حتمية التطابق الكامل بين صحيح المنقول وسليم المعقول** في دين الإسلام الحنيف سلوكا للطريقة الإبراهيمية المنوه بها في القرآن الكريم قال ﴿**أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ (سورة البقرة/ 206)

لأجل ذلك نرى **الشيخ الإمام** يعد توطئة لمشروعه الإصلاحي الرائد، وإقناعا به يقدم بمقدمات وممهدات على غرار تلك التي افتتح بها تفسيره الجليل **التحرير والتنوير**- وفي هذا المنهج أيضا سار نجله المنعم الشيخ **محمد الفاضل ابن عاشور** رحمه الله عندما وضع برامج **الكلية الزيتونية** حيث جعل فيها مداخل كانت لنا معاشر طلبة هذه الكلية مقدمات

ضرورية سدت لنا كثيرا من الثغرات في تكويننا وكملت عديد النقائص في محصولنا جامعة باحكام بين علوم المقاصد والوسائل.

لقد جاءت مقدمات «**أليس الصبح بقريب**» متدرجة من العموم إلى الخصوص مقيمة الحجة والبرهان العقلي والعملي على ضرورة الإصلاح وحتميته في كل عمل بشري وأخذ كل الأمم بهذا المسلك القويم وبإيجاز غير مخل يأتي **الشيخ الإمام** على أطوار التعليم في مهد الإسلام الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده ليدرك القارئ عمق التحول الذي أحدثته الرسالة المحمدية في الأمة العربية والرقي الذي أنجزته بفضل تعاليمها التعليمية بالخصوص.

وبثراء وعمق لا يمكن إدراكه إلا بتكرار القراءة وإعادتها لتلك الصفحات الأولى يهيئ **سماحة الشيخ الإمام** للقارئ مادة علمية موثقة ندر أن نجد لها نظيرا وشبيها في ما ألف من كتب وبحوث بالخصوص إذا وضعنا في اعتبارنا أنها مجرد مقدمة وتمهيد ولا يأتي بالمقدمات والممهدات المختصرة والمفيدة المقنعة إلا نحرير **مثل سماحة الشيخ الإمام**.

* أطوار التعليم العربي الإسلامي:

ويتابع **سماحة الشيخ الإمام** بعد ذلك مختلف أطوار التعليم العربي الإسلامي متوقفا عند كل علم مدققا للنشأة والتطور مذكرا بالمؤسس مشيرا إلى أول مدون في كل فن منتهيا إلى أن كل العلوم والمعارف وسائل ومقاصد نشأت وتطورت وازدهرت لتحقق للإنسان احد غرضين وهدفين وهما **إصلاح عاجل دنياه وآجل آخرته**.

ويبدأ **الشيخ الإمام** متابعته لنشأة العلوم والمعارف **بعلوم الشريعة** التي هي اشرف العلوم وأفضلها من تفسير للقرآن وتدوين للحديث وفقه وأصول فقه ثم الأدب وعلوم البلاغة والتاريخ والأخبار والعلوم الرياضية والفلسفية مفصلا القول في نشأة الفرق معيدا لها إلى أصولها الأربعة: القدرية والصفوية والخوارج والشيعة.

ثم يتطرق **الشيخ الإمام** في الفصول الموالية إلى صفة التعليم الإسلامي وأساليبه ومناهجه في مختلف العصور. ويتوقف رحمه الله عند درجتي التعليم مبتدئا بما يسمّى اليوم التعليم الابتدائي أو الأساسي وما كان يسمّى بالتأديب والمرتكز أساسا على تعليم القرآن الكريم إما في بيوت المعلمين أو في بيوت مخصصة للتعليم موردا أن هذه المسألة وقع التطرق إليها وبحث جواز القيام بها في المساجد أو عدم جوازه منذ عصر **إمام دار الهجرة مالك بن أنس** رضي الله عنه قال: وسئل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد فقال لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة ولم ينصب المسجد للتعليم.

ويتابع سماحة **الشيخ الإمام** مسألة تعليم الصبيان التعليم الابتدائي الأساسي في مختلف

جوانبها مبينا تطورها وأساليبها موردا مختلف الآراء فيها متعرضا إلى **تعليم البنت** والتجاوز بتحفيظ الصبي القرآن الكريم إلى تحفيظه الشعر والحكم والأدب وتعليمه الكتابة وتلقينه ما يناسب عمره من حديث وفقه تهيئه لدخول الدرجة الثانية وهي التعليم الذي فوق الابتدائي والمتمثل في تلقي دروس العلوم بالفهم وشرح المتون ثم يرتقي بالتلميذ في دراسة كتب العلوم بشروح وحواش ينتقل من انتهاء كتاب إلى أوسع منه من عمله ببسط شرح وزيادة مسائل ويقدم الشيخ الطرق الثلاث المتوخاة في ذلك والتي يفصل القول فيها بما يشفي الغليل وبما فيه الكفاية والاستيعاب.

* أهلية التصدي للتعليم:

ويحدد **سماحة الشيخ** المقاييس المعتمدة في معرفة الأهلية للتصدي للتعليم مؤصلا لها وعائدا بها إلى أمثال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (**أفرضكم زيد وأقضاكم علي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل**) أو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حق عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (**هو مَنْ علمتم**) منتهيا بإيراد رأي إمام دار الهجرة (**وقال مالك ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتوى جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد فإن رأوه لذلك أهلا جلس وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخا من أهل العلم إني موضع لذلك**).

ولا يورد **سماحة الشيخ الإمام** رحمه الله تعقيبا على ما اتخذه خاتمة لهذا الباب باعتبار انه لا يحتاج إلى مزيد بيان **فالمقياس أولا وأخيرا في التصدي للتعليم عموما والتعليم الديني خصوصا إنما هو الأهلية التي يشهد بها العدول الثقات باعتبار أن هذا العلم دين** (فانظروا عن من تأخذون دينكم) وهي القاعدة الأصلية والركيزة الأساسية التي ينبغي أن تؤسس عليها الدراسة في المؤسسات العلمية الدينية.

* الطريقة الزيتونية في التعليم:

ويصف **الشيخ الإمام** الدروس ويقسمها إلى دروس خاصة وهي أن يوكل إلى تعليم احد إلى بعض العلماء وكان هذا شعار أبناء الملوك والكبراء، ودروس عامة يكتب فيها الطلبة ما يسمعونه وكان الطلبة يجلسون حلقا ويقفون قائمين ويكتبون من جلوس ومن قيام ويختم **الشيخ الإمام** هذا الفصل الشيق بذكر كيفية سير الدرس في **جامع الزيتونة** (وكان الأساتذة التونسيون بجامع الزيتونة يسمون التلميذ الذي يجلس مواجها للأستاذ في الحلقة **مدونا** وهو الذي يسرد ما يرى الأستاذ سرده من الكتاب المقروء وهو الذي يسرد الأحاديث النبوية في الدروس الرمضانية فيما أدركناه من دروس بعض شيوخنا ثم فرطوا في ذلك فلم يبق به عمل) ص54.

والمضي مع **سماحة الشيخ الإمام** في استعراضه الشيق لمسار التعليم لا يسمح به المجال الضيق وحسبنا فقط أن نكون قد نوهنا في هذا المقام بأهمية هذا المؤلف وحتمية العودة إليه والاستنارة به من طرف كل طالب علم ديني بالخصوص فضلا عن أنه لا غنى عنه بالنسبة للمدرسين والقائمين على حظوظ الكليات والجامعات الإسلامية وفي طليعتها الزيتونة المباركة.

ويستعرض **سماحة الشيخ** في كتاب «**أليس الصبح بقريب**» كل المواضيع فلا وجود لمحظور وممنوع بالنسبة إليه ولا يترك شاردة ولا واردة صغيرة أو كبيرة يمكن أن تحيط بموضوعه وتفيد قارئه وتنير له السبيل إلا ويتطرق إليها ويتكلم فيها كلام العالم النحرير الذي لا معقب عليه لقوة حجته وصحة دليله. فهو يتحدث عن مواضع التعليم وأماكنها في المجتمع الإسلامي وتطورها التدريجي ويتكلم عن **تعليم المرأة** ثم يستعرض انبثاث العلوم الإسلامية في أقطار الإسلام من مصر إلى افريقية والأندلس إلى بلاد الفرس والمغرب الأقصى متوقفا عند مواضع التعليم في إفريقية والمغرب وانتشار العلم في الأندلس وأسلوب ومواضيع التعليم فيهما كل ذلك بدقة وتمحيص واستقصاء لا تطويل فيه ولا اقتضاب.

وفي ثنايا هذه الفصول الممهدة يعطي **سماحة الشيخ الإمام** تونس وعلماءها وحواضرها ما تستحق من التنويه والإشادة مما يقيم الحجة والبرهان على عراقتها وتجذرها وسالف إشعاعها على محيطاتها القريبة والبعيدة من ذلك قوله: كانت تونس بلد علم منذ كانت قاعدة إفريقية أي بعد خراب القيروان سنة 449 وبعد خمود الفتن التي كانت سجالا بين الصناهجة والموحدين.

ويورد **سماحة الشيخ الإمام** في كتابه **أليس الصبح بقريب** بعض الوثائق الهامة المصورة لحال التعليم في جامع الزيتونة من ذلك ما وصف به **ابن خلدون** كيفية قراءته وبعض الكتب التي قرأها وهي وثيقة جد هامة تصور بحق مدى التبحر العلمي والتوسع المعرفي للدراسة في **جامع الزيتونة** في ذلك الزمن المتقدم.

ويورد **سماحة الشيخ الإمام** جريدة موثقة لأسماء بعض علماء العصر الحفصي فإذا فيهم ومنهم **ابن عبد السلام ومحمد بن سلامة** شيخ **ابن عرفة وابن عصفور** (الإمام في النحو) **والقلشاني** شارح الرسالة **والبرزلي والأبي وابن ناجي** وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم.

ولا يتأخر **سماحة الشيخ الإمام** عن تصوير ما آل إليه التعليم بعد تلك الفترة الناصعة المشرقة من تاريخ **الجامع الأعظم** من جمود وتأخر وتقهقر صاحبته أحداث عديدة تصور مدى الانحلال والضعف الذي آلت إليه الأوضاع العامة في البلاد التونسية من ذلك ما أورده سماحته في صفحة90 من كتاب «**أليس الصبح بقريب**».

ولم يلبث وضع التعليم في **الجامع الأعظم** أن تحسن وتطور بما توفر من عناية واهتمام من طرف **علي بن محمد بن علي** الملقب بالباشا سنة 1153 ومن جاء بعده من الأمراء. وفي هذه الفترة من تاريخ الجامع الأعظم يورد لنا سماحة الإمام جريدة اسمية أخرى للمدرسين الأولين موثقة بتواريخ وفاة كل واحد منهم. وهي الفترة التي ظهرت فيها الدروس الشهيرة في العلوم الشرعية والعربية **بالجامع الأعظم** حيث درس **البيضاوي والبخاري والمحلي وشرح التلخيص** وما يضاهي ذلك من الكتب العلمية العليا.

ويعود **سماحة الشيخ الإمام** إلى موضوع درجات التعليم في تونس ويقصد بالتعليم في كتابه **التعليم الزيتوني** فيشبعه درسا مبينا ما يفضي إليه من مراتب وشهادات وما يتلقاه التلميذ الصغير والطالب في المرحلتين الثانية والثالثة من علوم ومعارف وما ينتهي إليه من شهادات.

* تجارب الزيتونة مع حركة الإصلاح:

وفي الفصل الذي عقده **سماحة الشيخ الإمام** لدروس **الجمعية الخلدونية** يورد النص الحرفي للدرس الأول الذي ألقاه الأستاذ الجليل **سالم بوحاجب** والذي بين فيه أهمية العلوم التي تأسست الجمعية لبثها في طلبة العلم. ولا شك أن لإيراد هذا الدرس بالذات أكثر من مغزى ومرمى إذ أقل ما فيه تجاوب **علماء الزيتونة الأعلام** منذ ذلك الزمن المتقدم مع **الدعوة إلى الإصلاح** التي بدأت تبرز في أنحاء شتى من العالم الإسلامي والتي تعتبر **الزيتونة** سباقة في التجاوب معها والتفاعل العملي بها من خلال صفوة لا شكّ أن في طليعتهم سماحة الشيخ الإمام **محمد الطاهر ابن عاشور** رغم حداثة سنه فقد عدّ بحقّ **سفير الحركة الإصلاحية** التي دعا إليها السيد **جمال الدين الأفغاني** وقام من اجل بثها بين صفوف الأمة وعلمائها بالخصوص الشيخ **الإمام محمد عبدة** بزيارات للبلدان الإسلامية والذي خص البلاد التونسية بزيارتين حيث اجتمع بالعلماء والطلبة وألقى الدروس والمحاضرات على منابر جمعياتها وعاد إلى مصر مطمئنا أن حركة واعدة في مجال **إصلاح التعليم الإسلامي** يوشك أن ينبلج فجرها في تونس وتشاء الأقدار أن يكون المظهر لهذا الإصلاح والمجسم له في برامج **التعليم الزيتوني** ومنهاجه وفي أوضاع المدرسين ومختلف مراتبهم وفي تأسيس الفروع بتونس وخارجها وفي تنظيم الشهادات ونظم الامتحانات هو سماحة الشيخ الإمام **محمد الطاهر ابن عاشور**.

* ابن عاشور سفير الحركة الإصلاحية في الزيتونة:

وما كان يمكن لغير **سماحة الشيخ الإمام** أن يقوم بهذه المهمة اللازمة والضرورية فقد اجتمعت لديه من الخصال والملكات والصفات والامتيازات والمؤهلات ما جعل

لرأيه السداد ولمنهجه سلوك سبيل الرشاد غير عابئ بالجامد غير المدرك لما يواجه الأمة وقلاعها العلمية من تحديات لابد من الاستعداد لها والتهيؤ لمواجهتها وغير مفرغ أيضا لخصوصيات ومميزات **التعليم الإسلامي الزيتوني** من مضامينها الأساسية التي تجعلها قادرة على القيام بالدور المنوط بها أحسن قيام وأتمه.

ولقد كان دائما وأبدا هذا المسلك الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط أصعب المسالك وأقلها قادة وروادا ولكنه قدر الكرام الذين هم قليل دائما.

لأجل ذلك فإن **سماحة الشيخ الإمام** عندما تعرض في الجزء الثاني من الكتاب «**أليس الصبح بقريب**» إلى أسباب تأخر التعليم وكيفية إصلاحه فإنه لم يكتف بالتشخيص وهو تشخيص دقيق لا مجال فيه للعاطفة أو المجاملة، لقد عدد سماحة **الشيخ الإمام** النقائص الواحدة تلو الأخرى واستقصاها جميعها بداية بمضامين البرامج والمواد مادة مادة: و مواضع الخلل فيها وأسباب العزوف عنها وضعف الاستفادة منها، والطاقات المهدرة فيها واصفا بدقة وخبرة ومنهجية ما يصلح كل مادة على حدة وما يجعل كل طالب يستفيد الاستفادة القصوى من وقته وتحصيله وتحقيق الإضافة اللازمة بعد ذلك.

وسماحة الشيخ الإمام في تقويمه وإصلاحه لا يعرف المجاملة ولا تأخذه في الحق لومة لائم يعطي من نفسه ومن دروسه ومدى عنايته بها المثل والنموذج حتى حقق حوله إجماعا لم يضر به من شذ.

فهل يا ترى أعتبر نفسي قد بلغت بعض ما أردت لفت الاهتمام والانتباه إليه في هذه المرحلة بالذات من مراحل تاريخ الزيتونة المباركة وشقيقاتها الجامعات الإسلامية القرويين والأزهر وغيرهما ؟ حسبي من كل ما قلت وأشرت أنني قدمت في هذه العجالة بعضا من حق الزيتونة علينا وحق شيخها الأكبر وإمامها الأعظم سماحة الأستاذ الإمام **محمد الطاهر ابن عاشور** وعسى أن يكون ذلك دافعا لي **ولأسرة الزيتونة** عموما لمزيد الانكباب على هذا الكتاب المشروع «**أليس الصبح بقريب**» فإنه كتاب لا تكفي فيه ومنه قراءة واحدة كما قال حفيد الشيخ الأستاذ الدكتور **محمد العزيز ابن عاشور**.

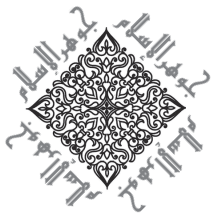

التواصل التونسي الليبي (الزاوية الأسمرية نموذجا)

بقلم الأستاذ جهاد الشيخ علي

ارتأيت تقسيم البحث إلى عناصر أربعة :

1. التصوّف (لغة واصطلاحا – نشأة وتطورا)
2. نبذة عن الطريقة الأسمريّة ومؤسّسها
3. إشعاع الزاوية الأسمريّة

فأقول ومن الله تعالى ألتمس الصّواب والرّشاد: لا ريب أنّه ليس من السهل تحديد بداية مسلم بها، تعريفا لظاهرة «التصوّف» في التراث الإسلامي .

حيث تضاربت الأقوال وتعدّدت الآراء، حول التسمية ودواعيها، الأمر الذي ترتّب عليه اختلاف في تعريف مصطلح «التصوّف» أو «الصوفيّة»

فقيل : نسبة إلى الصف الأوّل، وقيل: نسبة لأهل الصفةأ وقيل: من الصّفاء، وقيل أيضا: إنّ مردّ التسمية ومرجعه كلمة «صوفيا» اليونانيّة، ومعناها : الحكمة. «والحكمة ضالّة المؤمن أينما وجدها التقطها»

ومن ذلك أيضا أنّ «الصوفيّة» أو «التصوّف» نسبة إلى شخص جاهليّ اسمه «صوفة» قيل: هو الفوت بن مرّ، كانت أمّه قد نذرت إن عاش لها ولد أن تهبه لبيت الله، وتجعله ربيب الكعبة.

وقد أورد هذه النسبة الإمام «ابن الجوزي» عن «أبي محمّد عبد الغنيّ بن سعيد»

الحافظ، قال :سألت «وليد بن القاسم « : إلى أيّ شيء ينسب الصّوفيّ؟ فقال : كان قوم في الجاهليّة يقال لهم «صوفة» إنقطعوا إلى الله -عزّ وجلّ- وسكنوا الكعبة، فمن تشبّه بهم فهم «الصّوفيّة».

قال «عبد الغنيّ»: فهؤلاء المعروفون «بصوفة» هم ولد الغوث بن مرّة. ثمّ يوضّح علّة وسبب التسميّة «بصوفة»، فيقول: جاءت «صوفة « من الصوف، الذي علق برأس الغوث بن مرّة بوصفه ضحيّة، لأنه ما كان يعيش لأمّه ولد، فنذرت لئن عاش لتعلّقن برأسه صوفة، ولتجعلنّه ربيط الكعبة، ففعلت، فقيل له : صوفة، ولولده من بعده...

وبناء على ما أوردت فالأقرب والله أعلم أنّ التسمية (الصّوفيّة) راجعة لكونهم لبسوا الصّوف على غرار الأحبار والرّهبان والصالحين في الشرائع السابقة، فكانوا بلباس الصّوف يتقرّبون إلى اللّه تعالى، لا سيما أنّ سيّدنا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، لبس الصّوف، فعن أمّ المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق، «عائشة» رضوان الله عليها وعلى أبيها وعلى جميع الآل والأصحاب، قالت: «صنعت لرسول الله بردة سوداء فلبسها، فلما عرق فيها وجد ريح الصوف، فقذفها، وكانت تعجبه الرّيح الطيّبة» (رواه أبو داود) وهكذا تجاوز الصوف رائحته، وخشن ملمسه كلباس للفقراء والرعاة... ليصير رمزا للتواضع، وشكلا من أشكال الزّهد في الحياة الدنيا وزخرفها، ومن ثمّة دلالة على التّقوى والصفاء والنقاء والخضوع الكامل لله سبحانه. وتعبيرا من جملة التعابير عن اليقين بأن البديل الذي وعد به المولى في الدار الآخرة خير وأبقى، وأفضل وأرقى، ممّا يمكن أن يناله العبد في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ ولعلّ هذا الأمر ما يفسّر دواعي النذر الذي أخذت به «أم غوث بن مرّة» نفسها، أنّها إذا رزقت ذكرا لتعلّقنّ على رأسه صوفة، ولتجعلنّه ربيط الكعبة، فقدّمت إبنها لله تقرّبا وامتنانا، ليكون عبدا لله خادما لبيته... كما يقدّم الكبش للفداء. ففي الصوف اذن: دلالة الفداء والتضحية بالنفس في الدنيا، من أجل الفوز والنجاة في الأخرى.

فاستسلام الصّوفي لربّه، وانجذابه إليه، وعزوفه عن الدنيا، ورغبته في ملاقاة الله في الأخرى، تماما كمن يقدّم أضحية، والأفضل في الأضحية أن تكون من «صوف» (أي الغنم) تأسّيا بسنّة الخليل، سيّدنا إبراهيم عليه السلام، تقرّبا إلى الله...

وخلاصة القول : فالتصوّف هو أحد مراتب الدّين الثلاثة (إسلام - إيمان - إحسان)

فمثلما أهتم الفقيه بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم العقيدة بالإيمان، فإن التصوّف اهتمّ بتحقيق مقام الإحسان، مقام التربية والسلوك، مقام الارتقاء بالنفس والسمو بها، وتطهير القلب من الأدران، وتحلّي القلب والنفس بالفضائل، واجتنابهما الرذائل .... قال «ابن عاشر»: «والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك» (إسلام-إيمان-إحسان)

يقول سيّدي أحمد بن عجيبة :»مقام الإسلام يعبّر عنه بالشريعة، ومقام الإيمان يعبّر عنه بالطريقة، ومقام الإحسان بالحقيقة»

فالشريعة : تكليف الظواهر

والطريقة : تصفية الضمائر

والحقيقة : شهود الحق في تجليات المظاهر

بمعنى آخر: الشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده.

فالتصوّف إذن إشتغال بمقام الإحسان والذي تضمّنه حديث سيّدنا «جبريل عليه السلام» «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما) وهو منهج متأصل في الدين الإسلامي الحنيف، يسلكه العبد للوصول إلى الله، أو بالأحرى: وصول إلى معرفة الله والعلم به... وفي ذلك يقول «ابن عطاء الله» في حكمه: «**وصولك إلى الله : وصولك إلى العلم به، وإلاّ فجلّ ربّنا أن يتّصل به شيء، أو يتّصل هو بشيء**». وهذا الأمر يتحقق بالاجتهاد في العبادات، واجتناب المنهيات، وتربية النفس وتهذيبها، وتطهير السريرة من كلّ شيء دنيء والتحلّي بالخلال الرفيعة والأخلاق الحسنة.

فالتصوّف إن صحّ التعبير : هو علم، كعلم الفقه، وعلم الكلام وغيرها من العلوم ... له مذاهبه ومشاربه ومدارسه، وأئمّته الذين شيّدوا قواعده وأركانه، جيلا بعد جيل، حتى أطلق عليه «علم التصوّف» أو «علم التزكية» أو «علم الأخلاق» أو «علم السلوك» أو «علم السالكين إلى الله»، «ولا مشاحّة في الإصطلاح» فألّفوا فيه التصانيف الكثيرة، بيّنوا فيها أصوله وفروعه وقواعده... فكان من أشهر هذه الكتب:

- «إحياء علوم الدين « لأبي حامد الغزالي
- «الرسالة القشيريّة» لعبد الكريم القشيري
- «الحكم العطائيّة» لإبن عطاء الله السكندي
- «قواعد التصوّف» لأحمد زروق الفاسي

ومما لا يخفى، أن التصوّف ليس بمستحدث، إنّما كان في الصدر الأوّل من عصر

الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- وهذا ما أكده الحافظ «أبو نعيم الأصبهانى» في كتابه «حليّة الأولياء» فقد استفتحه بصوفيّة الصحابة، ثم أتبعتهم بصوفيّة التابعين.

تم إن حركة التصوّف في القرون الثلاثة الأولى، ما كانت إلاّ نزعات فرديّة، داعية إلى الزهد وشدّة العبادة، وكثرة الذكر ... ثمّ تطوّرت بعد ذلك حتى صارت طرقا متنوعة، تعرف ب»الطرق الصوفيّة». وحضارتنا الإسلاميّة تزخر بأسماء أعلام وفطاحل، انتسبوا «للتصوّف» لعلّ من أبرزهم: «الجنيد البغدادي»، «أحمد الرفاعي»، «عبد القادر الجيلاني»، «أبو الحسن الشاذلي»، «محيي الدين بن عربي»، «الشمس التبريزي»، جلال الدين الرومي»، «أحمد بنعروس»، «عبد السلام الأسمر الفيتوري». ومن القادة والأمراء: «صلاح الدين الأيوبي»، «محمد الفاتح»، الأمير» عبد القادر الجزائري»، المجاهد الشهيد «عمر المختار السنوسي» وغيرهم ...

وفي هذا الإطار تتنزل طريقة شيخنا «**عبد السلام الأسمر**» فقد اعتبر رضي الله عنه، علما صوفيّا قل نظيره في الجد، والسعي إلى السلوك الرباني، على منهج السلف الصالح، تمسّكا بالقرآن العظيم والسنّة النبويّة المطهّرة ... كما تعدّ زاويته «الأسمريّة» من أكبر القلاع العلميّة داخل القطر «الليبي»، متواصل عطاؤها من لحظة التأسيس، دون انقطاع إلى هذا الزمان. وبذلك مثلت صرحا متينا من صروح المحافظة على الهويّة «الليبيّة» متمثلة في العقيدة الأشعريّة، والمذهب المالكي، والتصوّف السنّي الجنيدي...

•في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

ومن المعلوم أن «**عبد السلام الأسمر**» لم يأت بطريقة جديدة، إنّما طريقته إمتداد وتواصل وتجديد، لطريقة الشيخ «أبي العبّاس» سيدي : «**أحمد بنعروس**» دفين العاصمة «تونس»، والمتوفى سنة: 869 للهجرة.

ويعود نسبه إلى قبيلة «هوارة» التي استوطنت منطقة «طرابلس الغرب» إلى حدود منطقة «برقة» لذلك نجد لطريقة «الأسمر» مسمّيات عديدة، منها «العروسيّة الأسمريّة» / «الطريقة السلاميّة» / «الطريقة العروسيّة الشاذليّة» لأن الطريقة «العروسيّة» يتصل سندها بشيخنا صاحب القدر العليّ، سيدي: «**أبي الحسن علي الشاذلي**» رضي الله عنه.

لقد مثّل «الأسمر» أحد أهم ركائز الحركة العلميّة والدعويّة في المغرب الإسلامي، بما تضمنه منهجه في الدعوة إلى الله وإصلاح الأمّة، من دافع للاِهتمام بمختلف طبقات المجتمع... ولم ينحصر في الطبقة المتعلّمة فحسب، الأمر الذي

جعل منه قائدا روحيا وطودا شامخا في سماء الإسلام، بالمغرب العربي الكبير.

لقد مثلت زاوية الشيخ «عبد السلام الأسمر» حلقة وصل، ربطت بين أهم المراكز الإسلاميّة في شمال إفريقيا، فهي ولا شك من أهم المدارس الإسلامية الواقعة بين الأزهر الشريف بمصر، وجامع الزيتونة المعمور بتونس، وصولا إلى جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى.

زاوية اشتملت على مسجد ومرافق لإيواء المريدين، وأماكن لإعداد الطّعام للزائرين، ومكتبة ضخمة تحوي الكثير من الكتب النفيسة....

الأمر الذي جعل من الزاوية الأسمريّة مهوى أفئدة طلبة العلم، والمقبلين على حفظ القرآن العظيم، وقبلة لعامّة الناس، يتلقون فيها دروس وعظ وارشاد، مبسطة لقواعد الشريعة والسلوك... فضلا عن إقامة سيدي «عبد السلام» لحلقات الذكر والإنشاد، كبديل عن مجالس اللّهو المحرّم وإضاعة الوقت، وتشجيعا منه على التديّن السّمح والمعتدل، مما جعل له قاعدة شعبيّة عريضة، أسهمت بشكل وافر وكبير في نشر صيته، وخبر طريقته في الآفاق ومختلف الأصقاع.

أثر الشيخ «الأسمر» في العالم الإسلامي:

من المعلوم أن الشيخ «الأسمر» رضي الله عنه، قضى ما يناهز السبعين أو الثمانين عاما، (وهذا ليس بالقليل) يدعو إلى الله على بصيرة، وينشر طريقته في التزكية، فاتسعت دائرة الذين أخذوا عنه المعقول والمنقول والمذوق (إن صحّ التعبير) لتشمل معظم الشمال الإفريقي، وحتى أواسط القارّة السمراء ....

وليمتد الإشعاع بتوفيق إلهي، ومدد ربّاني، إلى بلاد المشرق، بل والعاصمة المقدّسة، مكّة المكرمة، وهذه شهادة أوردها لأحد رجال مكّة، في علو كعب الشيخ «عبد السلام» وطريقته «الأسمريّة»

يروي «عبد الرحمان المكّي» فيقول :»نوينا السفر أنا وجماعة من أهل مكّة نحو المائتين والخمسين فقيرا، من حملة القرآن، شاغفين بمحبّة «الأسمر» وطريقته، إلى أن وصلنا إلى الإسكندريّة فأخبرناهم بذلك، فسارت معنا طائفة نحو المائة فقير، ومن كل بلاد طائفة»

ثم يتحدث عن العام الثاني والثالث فيقول: « وفي العام الثاني، يجتمع عنده ستّة أركاب من المشارقة والمغاربة ... وفي العام الثالث، قد جاءه خمسة آلاف من الشام ومصر، وبغداد ومكّة المشرفة والمدينة المنورة، فأخذوا عنه العلوم والتصوّف

والأوراد والحزب والدرس، ولازلنا معه إلى أن توفاه الله»

ولا شك أنّ شهرة الشيخ -قدّس الله سرّه- ومتابعة العلماء في مختلف ديار الإسلام له، واعتقادهم فيه، وثقتهم في كلامه، تدلّ بوضوح على تأثير الشيخ «عبد السّلام الأسمر» وشهرته العلمية والصوفية، التي شملت الآفاق...

بل تجاوز أثر «الأسمر» بلاد العرب إلى البلاد الأعجمية، فقد ذكر «عبد الرحمان المكّي» خبر قدوم جماعة من تركيا في مركب، إلى أن بلغوا طرابلس، ومنها توجّهوا إلى زليتن، واستقبلهم الشيخ أحسن استقبال، ومكثوا معه حتى توفاهم الله...

وممّا يُذكر أنّ أربعة عشر يهوديّا، قدموا على الشيخ، وأسلموا على يديه، وأخذوا عنه الطريقة.

♦ فيستفاد ممّا تقدّم: كثرة من ورد على الشيخ وترك الدنيا خلفه، رغبة في مجاورته والأخذ عنه، لاتفاق العامّة والخاصّة، على ولايته وكراماته، وعلوّ ذوقه ومراتبه.

التواصل «الليبي» «التونسي» من خلال «الأسمرية»:

لا يخفى أنّ تاريخ التصوّف بالبلاد «التونسية» لا ينفصل عن الحركة الصوفيّة في المشرق، وبواكير انتقالها لبلاد المغرب منذ القرن الثاني للهجرة. لكنها انتشرت بشكل واضح خلال القرنين «الخامس والسادس» ليكون منطلقا لظهور طُرق وأعلام ببلاد المغرب عامّة.

وهذا الأمر ارتبط بردّة فعل ضدّ انتشار مظاهر التّرف، والتعلق بالدنيا، لم يستسغها القوم، فآثروا الزهد والبُعد عنها... كما أنّ الحاجة الماسّة لمراقبة الثغور، أوجدت رباطات جمعت بين الحسنيين (الزهد من جهة وحماية ديار الإسلام من الغزو من جهة أخرى). فكانت «تونس» أنموذجا انتشرت فيها الرباطات (سوسة - المهدية - المنستير - صفاقس - بنزرت...) لتُكوّن روحا نقية، ومجالا خصبا للتصوّف «الزهدي»، الممهّد لظهور التصوّف «الطّرقي»، عبر أعلام ومشائخ ذاع صيتهم، وعظم أثرهم في الناس والمجتمع...

لعلّ من أبرزهم المرابط الفقيه «**أبي سعيد الباجي**» و«**محرز بن خلف التونسي**» الملقّب بـ «سلطان المدينة» و«**أبي الحسن الشاذلي**» صاحب المغارة والمقام، وسيدي «**أحمد بنعروس**» الذي انتشرت طريقته «العروسية» بمختلف جهات البلاد التونسية، وكان من تلاميذه «**بوراوي الفحل**» (الولي الأشهر بمدينة سوسة) والذي هو من تلاميذه الشيخ «عبد السلام الأسمر» رضي الله عنه.

فالعلاقة بين «ليبيا» و«تونس» من خلال «الأسمرية» هي علاقة سند ومدد... ذلك أنّ الإسناد من الدّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء... والإسناد بركة. فقد أخذ «الأسمر» طريقته «العروسيّة الشاذلية» عن شيخه «عبد الواحد الدوكالي» عن شيخه «فتح الله بوراس» وكان مفتيا بالعاصمة الإسلامية القيروان. عن الشيخ «أحمد بوتلّيس» القيرواني، دفين رياض جامع الزيتونة -المعمور- عن الشيخ «بوراوي الفحل» عن القطب، سيدي «**أحمد بنعروس**» قدّس الله سرّه.

ولم تكن في زمانه وحال حياته إلاّ «شاذلية» فقط، لكن لمّا انتقل سيدي «أحمد بنعروس» حدثت بعض الكرامات، فممّا يُروى أنّه تكلّم عند الغُسل، وتكلّم عند القبر... ولا يعتبر هذا الأمر عند القوم غريبا، فقد قال صاحب «الجوهرة»:

وأثبتـن للأوليـا الكرامـة ومـن نفاهـا فانبـذن كلامـه

فأُضيف اسمه على «الشاذلية» حتى صارت «العروسية الشاذلية». وأمّا الشيخ «بنعروس» فقد أخذ عن أستاذه «فتح الله العجمي» عن أستاذه «ياقوت العرشي» عن شيخه «أبي العبّاس المُرسي» عن شيخنا صاحب القدر العليّ، سيّدي «**أبي الحسن عليّ الشاذلي**» رضي الله عنه.

وممّا أرويه عن طريق بعض شيوخنا «ببنزرت»، أنّ المريد «الشاذلي» تغشاه صفات الجمال، (على خلاف المريد «القادري» الذي تغشاه صفات الجلال) . وهكذا هي أحوال جُلّ المنتسبين «للشاذلية» تجدهم في حالة انبساط وانشراح، وتحدّث بنعمة الله... شأنهم شأن شيخهم -رضي الله عنه- الذي كان يلبس من الثياب أفخرها، ويأكل من الطّعام أطيبه، ويشرب البارد من الماء ويركب الفارِه المليح من الدواب...

الأمر الذي جعل أعيان أهل «تونس» فضلا عن العامّة، يتعلّقون بهذه الطريقة، وبالطريقة «السّلاميّة» أيضا، المستفيدة كما تقدّم من هياكل ومؤسسات «العروسيّة»، والتي تعتبر بدورها من أعرق الطرق «بتونس» وأكثرها أتباعا وانتشارا...

* أمّا تراثها: فيشتمل على أشعار بالفصحى و«الدّارجة» وجملة من الأحزاب والمدائح، بعضها من تأليف مؤسّسها، وبعضها من تأليف أتباعه ومريديه ومحبّيه...

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الشيخ «الأسمر» رضي الله عنه، ما سمّي كذلك، إلاّ لإحيائه الليالي سمرا في طاعة الله. وقيل: كان يسمُر بضرب الدفّ (البندير) أثناء المديح والإنشاد. وهذا مذهب اتّخذه بعض «الصّوفية» بابا للتقرّب إلى الله، ذلك أنّ الغناء وضرب الدفّ يثير فيهم حالة نفسيّة، وهو ما يُعبّر عنه في لغة القوم «بالوجد».

أورد له الإمام «أبو حامد الغزالي» في كتابه «الإحياء» بابا كاملا سمّاه «باب آداب السّماع والوجد».

«فالوجد» ثمرة من ثمار السماع، الذي يحرّك الأطراف إمّا بحركة غير موزونة، فتُسمّى «اضطرابا» أو بحركة موزونة، فتُسمّى «التصفيق والرقص».

وتتكوّن حلقة الذكر لدى جماعة «السُّلامية» (نسبة لعبد السّلام) من مجموعة أقسام:

1 – قسم خال من الموسيقى والإنشاد: ويستفتح بتلاوة فاتحة الكتاب، وما تيسّر من سور القرآن العظيم... تليها قراءة لأحد أحزاب الشيخ «الأسمر» كالحزب الكبير أو حزب الطّمس أو حزب الفلاح... وهي من أكثر الأحزاب تداولا.

2 – قسم الإنشاد: ويكون مرفوقا بضربات الدفّ، يتغنّى فيه «بالسلسلة الذهبية» وهي أرجوزة (بحر الرجز) نظمها الشيخ «عبد السلام» رضي الله عنه، سنة 979 هـ حسب ما ورد في بيتها «السبعين» يقول في مطلعها:

يقـول راجـي العفـو والغفران عبدالسـلام بـن سـليم الفـان
الحمـد للـه الـذي هدانـــــا إلـى طريـق الحـق واجتبـان

وهي سلسلة تذكّر بعدد هام من الشيوخ والأولياء، وتجمع السند المبارك المتّصل في السّلوك...

كما يتضمّن هذا القسم: إنشاء جانب من «سلسلة الفزوع» (وتعني الاستغاثة بالغير) وهي قصيدة باللهجة العاميّة (الدارجة) ذكر صاحب كتاب «مواهب الرحيم في مناقب مولانا سيدي عبد السلام ابن سليم» السيد «محمد مخلوف» أنها تحوي على ما يناهز ثمانمائة بيت، تتغنى بكمّ هائل من الأولياء والصالحين، وتستنجد بهم، للتغلّب على النزوات ونزعة الشرّ... قيل في مطلعها:

يـا طبيـب الأنفـاس بالـدواء داوينـي
يـا مثبّـت الأغـراس ثبتنـي علـى دينـي

كما يشتمل هذا القسم على: إنشاد قصائد دينية متنوعة الأغراض تُختم بإنشاد «التصلية» ومعناها ترديد الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وقراءة سورة «الفاتحة».

وممّا تجدر الإشارة إليه: أنّ الشيخ «محمد بن سليمان» (1875-1949) وكان شاهد عدل، وخطيب مسجد، هو من وضع لحنا «للسّلسلة الذهبية» فقد اشتهر بجمال صوته، وشغفه بمدائح السّلامية... كما أنّ أبرز شيوخ «السلاميّة» بالبلاد «التونسية» قد استفادوا استفادة عظيمة، من الإرث «الأسمري» فاعتنوا بما ألّفه سيدي «عبد السلام» وتغنّوا «بالأسمرية» شيخا وطريقة، ولا يزال هذا الإرث مشعّا في سماء «تونس» لا تخلو من ترداده وذكره مختلف فرق «السّلامية» في الأعراس والمحافل، والاحتفالات المولديّة...

فبرع وتألّق في هذا المجال عمالقة المنشدين «التونسيين» لعلّ من أبرزهم:

- ❖ الشيخ «عبد المجيد بن سعد» القيرواني (1924-1972) وهو من أوائل الذين طوّروا «السّلاميّة».
- ❖ المقرئ «الشيخ علي البراق» القيرواني (1899-1981) عميد شيوخ «السّلامية» بالبلاد التونسية.
- ❖ مقرئ الإذاعة الوطنية، صاحب الصوت الشجي، الشيخ «محمد البراق» (1934-2017) نجل الشيخ «علي البراق» المجاورين لمسجد «الأنصار» (شهر: المحنيّة) أسّسه الصحابي الجليل «رويفع بن ثابت الأنصاري» سنة 47 للهجرة (صحابي دفين برقة بليبيا).
- ❖ الشيخ «محمد شقرون» البنزرتي، الحائز على وسام الاستحقاق الثقافي، وقيدوم المشائخ.

فتمسّك «التونسيين» منشدين وعامّة «بالسّلامية» وتعلّقهم بها، هو في الحقيقة تمسّك ومحافظة على الموروث «الأسمري» الذي لقي في «تونس» انتشارا واسعا، وقبولا في النفوس... ولا أدلّ على هذا التعلق الروحي، من وجود «فسقيّة سيدي عبد السلام» و«باب سيدي عبد السلام» بالحاضرة «تونس»، وهو أحد أكبر أبواب المدينة العتيقة، بُني في عهد الباي «حمودة باشا» على السور الغربي للمدينة العتيقة.

هذا غيض من فيض، في حق رجل من رجالات «التصوّف» بالغرب الإسلامي، تشرفنا بتقديم نزر قليل، من بحر آثار الشيخ، صاحب السرّ الأفخر، سيدي «**عبد السلام الأسمر**» رضي الله عنه.

الأرض وما عليها أمانة في رقبة الإنسان[1]

بقلم الدكتور أحمد الطيب شيخ الازهر

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

معالي الأخ الفاضل والصديق الكريم الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التسامح والتعايش

الحضور الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اسمحوا لي في البداية أن أبعث بتحيتي وتقديري لأخي العزيز البابا فرانسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية، الذي أتمنى له الشفاء العاجل، وتمام الصحة والعافية

للإسلام موقف محدد من قضية البيئة وعناصرها بدءا من الأرض، ومرورا بما يدب على وجهها من كائنات حية، وانتهاء بما ينتج في مياهها ويطير في أجوائها من أسماك وطيور كما أبعث بتحية إعزاز واحترام إلى أخي العزيز صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان على جهوده المخلصة في تعزيز الأخوة الإنسانية، وبخاصة هذا الالتزام الاستثنائي الذي تضطلع به دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة، تحت قيادة سموه، لمواجهة أحد أكبر التحديات التي تعاني منها الإنسانية اليوم ، وهي تغير المناخ وتراكم آثاره السلبية وأرى أن هذه الخطوة المهمة، والمبادرة الاستثنائية التي تقدم : بها مجلس حكماء المسلمين لدعوة رموز الأديان المختلفة لتوقيع وثيقة نداء الضمير.. بيان أبو ظبي المشترك بين الأديان ما من أجل المناخ)، وكذلك لإنشاء جناح الأديان – ولأول مرة، داخل مؤتمر الأطراف الثامن والعشرين للتعاون مع الأمم المتحدة ودولة الإمارات، وذلك لإسماع صوت القادة الدينين وفي مواجهة التحديات، وبخاصة تحدي تغير

(1) كلمة فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر بمناسبة اطلاق نداء الضمير : بيان أبو ظبي المشترك بين الأديان بشأن «تغير المناخ» أبو ظبي 3 ديسمبر 2023.

المناخ.. هي فرصة ثمينة لتعزيز الجهود من أجل – حماية بيئتنا المشتركة، وإنقاذها من دمار يُشبه أن يكون دمارًا محققا، بعدما لاحت نذره، وتوالت عاما بعد عام، متمثلة في كوارث طبيعية من ارتفاع غير مسبوق في درجة الحرارة، وفيضانات غارفة، وحرائق في الغابات أتت على الأخضر واليابس، وجفاف شديد، وانقراض كثير من أنواع الحياة، وانتشار الأوبئة والآفات والأمراض.

وقد صدق السيد أمين عام الأمم المتحدة انطونيو غوتيريش، حيث قال « ان عصر الاحتباس الحراري قد انتهى وبدأ عهد الغليان الحراري العالمي»

الحضور الكريم

أن للإسلام موقف محدد من قضية البيئة وعناصرها بدءا من الأرض ومرورا بكل ما يدب على وجهها من كائنات حية وانتهاء بما يسبح في مياهها ويطير في أجوائها من أسماك وطيور .

هذا الموقف يتمثل باختصار شديد في الأمر الألهي الموجه لكل إنسان مؤمن وغير مؤمن بالإصلاح في الأرض وما عليها والنهي الإلهي والتحذير من الإفساد فيها أو في أي عنصر من عناصرها .

وقد نزل القرآن الكريم مشحونا بالآيات التي تحث على احترام البيئة وعناصرها انطلاقا من أمرين :

الأول أن البيئة وعناصرها دليل من أقوى الأدلة التي ترشد العقل لمعرفة الله تعالى والإيمان به والإيمان بالله من أجل النعم الإلهية قاطبه على الإنسان.

والأمر الثاني أن الكائنات بكل أنواعها تشارك الإنسان المؤمن في عبوديته لله تعالى ومن ثم كان الإنسان في منطق الإسلام مسؤولا عن البيئة مسؤوليته عن نفسه وعن أخوته من بني ادم وفي الإسلام تشريعات خاصه بهذه القضية لا يحتمل المقام تفصيلها .

وخلاصة ما يمكن قوله في هذه المسألة أن الأرض وما عليها أمانة في رقبة الإنسان وهو مسؤول بين يدي الله يوم القيامة عن اصلاحها وحمايتها من الافساد فيها وقد حذر الله الإنسان إن هو أفسد في الأرض، أنْ يُذيقَه من الأمراض والمصائب والكوارث بِقَدْرِ ما يُفسِد فيها: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾*.

و أوجه نداءً وصرخةً من رَجُلٍ مُسلم بسيط، يتألَّمُ لآلام الشُّعُوب الضَّعيفة والفقيرة المغلوبةِ على أمرِها، «إنَّها صرخة إنسان مذهول من هول آلة القتل الإرهابية الجهنميَّة التي يُعملها قُساة القلوب في صفوف المواطنين الآمنين من النِّساء والرجال والأطفال والرُّضع والخُدَّج، ومن مظاهر العنف والتخريب والدَّمار التي تشهدها أرض فلسطين السليبة.. وأقول للعالَم كله: إنَّه آن الأوان لوقف هذه الحروب البشعة المُجْرِمة، وأؤكِّد أنَّها لو اســـــتمرَّت هكذا –لا قدَّر الله– فلن يتبقَّى لنا بيئةٌ نحافظ عليها، أو مناخٌ نبقيه نظيفًا لأبنائنا وأجيالنا في مُستقبلٍ قريبٍ أو بعيد.

الإسلام والعنف : الدعوة بالحسنى

(الجزء الثاني)

بقلم الأستاذ كمال ساسي

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل -125 128)

نستنتج من هذه الآيات ما يلي:

1 -**الدعوة إلى سبيل الله** لا لشخص الداعي ولا لقومه: فليس للداعي من دعوته إلا أن يؤدي واجبه لله لا فضل له يتحدث به لا على الدعوة ولا على من يهتدون به وأجره بعد ذلك على الله.

2 -**الدعوة بالحكمة**: والحكمة المعرفة الحكيمة أي الصائبة المجردة عن الخطأ قال الله تعالى ﴿**يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ**﴾ (البقرة 269) والدعوة بالحكمة تكون بالنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها. والطريقة التي يخاطبهم بها والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبدّ به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

3 -**الدعوة بالموعظة الحسنة** والموعظة القول الذي يلين نفس القول له لعمل الخير وهي اخص من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص ولإلقائها ووصفها بالحسن تحريض على أن تكون لينة مقبولة عند الناس، والموعظة الحسنة هي التي

تدخل القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف بالزجر والتأنيب في غير موجب ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

4 - **الجدل بالتي هي أحسن** : والمجادلة والاحتياج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه والجدل بالتي هي احسن يكون بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ولكن الاقناع والوصول إلى الحق روى ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ (الانبياء98) قال عبد الله بن الزبعري لا خصمن محمدا فجاء يقول يا محمد قد عبد عيسى وعبدت الملائكة فهل هم حطب جهنم؟ فقال النبيء اقرأ ما بعده ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾ (الانبياء 101) أخرجه أبو داود

5 – **اطمئنان الداعية** : ولكي يعدل الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن سلم طبعه فاهتدى وامن فلا ضرورة للحاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله وما على الرسول إلا البلاغ فلا ينبغي أن ييأس من هداية الضالين ويتجاوز إلى حدّ الحزن على عدم اهتدائهم.

6 –الدفع بالتي هي أحسن: رغب الله المسلمين في الصبر على الاذي أي بالاعراض عن أذى المشركين وبالعفو عنه لأنه أجلب لقلوب الاعداء فوصف انه خير اي خير من الاخذ بالعقوبة كقوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (فصلت34) ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ**﴾ (الشورى40)

فصبر المسلمين وعدم أخذهم بالثأر وبعدهم عن الاقتصاص لأنفسهم خير لهم في الدنيا والآخرة.

التزام الصبر : خص الله النبي ﷺ بالأمر بالصبر للإشارة إلى أن مقامه أعلى فهو بالتزام الصبر أولى أخذا بالعزيمة وصبر النبي عظيم لأنه لقى من أذى المشركين أشد مما لقيه عموم المسلمين فصبره ليس كالمعتاد لذلك كان حصوله بإعانة من الله.

وحذره من الحزن عليهم أن لم يؤمنوا كقوله تعالى:﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء3) ثم أعقبه بان لا يضيق صدره من مكرهم وهذه أحوال مختلفة تحصل في النفس باختلاف الحوادث المسببة لهم فإنهم كانوا يعاملون النبيء مرة بالاذى علنا ومرة بالاعراض عن الاستماع إليه واظهار انهم يغيضونه بعدم متابعته

واونة بالكيد والمكر له وهو تدبير الاذى في خفاء.

7 -**حسن العاقبة:﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** -تعليل للامر بالاقتصار على قدر الجرم في العقوبة وللترغيب في الصبر على الاذى والعفو عن المعتدين ولتخصيص النبي ﷺ بالأمر بالصبر والاستعانة على تحصيله بمعونة الله ولصرف الكدر عن نفسه من جرّاء أعمال الذين لم يؤمنوا به علل ذلك كله بان الله مع الذين يتقونه فيقفون عندما حد لهم ومع المحسنين والمحبة هنا مجاز في التأييد والنصر.

انظر تفسير التحرير والتنوير 14-14-337 للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

الإسلام وحرية العقيدة

يقول الله عز وجل:**﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (البقرة256)

قال ابن كثير : أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن عمي قلبه فإنه لا يفيده الدخول فيه مكرها مقسورا أي أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر وإنما بناه على التمكين والاختيار.

لما بين تعالى دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر أخبر بعد ذلك أنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقهر على الإيمان ويجبر عليه وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان وعلم من هذا أن الجهاد المشروع في الإسلام والذي لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر لم يستعمل للإكراه على الدخول في الدين ولكن لحماية الدعوة إلى الدين والإذعان لسلطانه وحكمه العادل. فمن يكفر بالطاغوت أي بالشيطان أي بما يدعو إليه من عبادة الأوثان ويؤمن بالله – فقد تمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد.

إن قضية العقيدة كما جاء بها الدين قضية اقتناع بعد البيان والإدراك وليس قضية إكراه وغصب وإجبار ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته يخاطب العقل المفكر والبداهة الناطقة ويخاطب الوجدان المنفعل كما يخاطب الفطرة المستكنة يخاطب الكيان البشري كله.

والإدراك البشري بكل جوانبه في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ

مشاهدتها اللجأ إلى الإذعان ولكن وعيه يتدبرها وإدراكه لا يتعلقها لأنها فوق الوعي والإدراك. ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّين**﴾ في هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة لا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله باختياره لعقيدته أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها.

ان حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان الذي يثبت له بها وصف إنسان فالذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة والأمن من الأذى والفتنة والا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق. ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّين**﴾ نفي الجنس كما يقول النحويون أي نفي جنس الإكراه نفي كونه ابتداء فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع. وليس مجرد نهي عن مزوالته والنهي في صورة النفي والنفي للجنس أعمق إيقاعا وأوكد دلالة فالإيمان هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يوصم به (تفسير في ظلال القرآن المجلد1 ص29-30 .

والرسالة الإسلامية التي تبيح الحرية في العقيدة على هذا النحو تفرضها على المسلمين وغير المسلمين فرضا في المعايشة وفي الحكم وفي المعاملات، ذلك أن الحرية ميراث للناس أجمعين وليس وقفا على دين أو شريعة أو جنس أو لون ذلك لأن الإسلام يؤكد بهذه الآية أن الإنسان حر التصرف حسب إرادته وترتيبا على ذلك فقد منع المسلمون من فرض إرادتهم على غيرهم بيد ان هذا لا يعني أن الإسلام ليس دين تبليغ فهو دين يستهدف الحق هذا الحق الذي يجب أن يظهر في الفكرة وفي الكلمة وفي العمل وهذه لا تكمل إلا إذا وصلت إلى كل نفس بشرية ومع أن القرآن الكريم يصف المسلمين بهذه الآية ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ**﴾) آل عمران 110 إلا أنه يحرم عليهم استخدام القوة واللجوء إلى الإكراه وحتى نبي الإسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه لم يستثن من هذه القاعدة اذ خاطبه ربه قائلا ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البَلَاغُ**﴾ الشورى48، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس99) ﴿**الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ**﴾(الكهف29)

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية 21–22) ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص 56) ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (الرعد 31) ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ (النحل 36) ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (الكهف 17) ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (المدثر 31)

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الانعام 125) ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (الإسراء 15) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ (النجم 30) ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾ (آل عمران 20) ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور 54) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة 105) ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ (الاعراف 43) ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد 7) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء 107) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ (الاحزاب 45/ 48) ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (ال عمران 159) ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون 96) ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت 46) ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الانعام 50) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير 27–28)

الخروج على السلطان

(أهل البغي هم قوم من المسلمين تغلبوا على بلد وخرجوا عن طاعة الإمام) (هم البغاة وهم الخوارج وهم قوم من ارائهم أن كل ذنب كفر كبيرة أو صغيرة ويخرجون على إمام أهل العدل ويستحلون القتال والدماء بهذا التأويل ولهم منعة وقوة) البدائع (أهل البغي قوم من المسلمين يخرجون على الإمام العادل ويمتنعون عن أحكام أهل العدل) الذخيرة (وإذا تغلب قوم من المسلمين يخرجون على الإمام

العادل ويمتنعون عن أحكام أهل العدل) الذخيرة (وإذا تغلب قوم من المسلمين على بلد وخرجوا عن طاعة الإمام العادل دعاهم إلى العود والى الجماعة وكشف عن شبهتهم) شرح القدوري (إذا أظهرت جماعة من أهل القبلة رأيا ودعت إليه وقاتلت عليه وصارت لهم منعة وشوكة وقوة سئلوا عن ذلك فإن فعلوا ذلك لظلم السلطان فإنه ينبغي للسلطان أن ينصفهم ولا يظلمهم ويمنع من الظلم فإن كان الظلم لا يمتنع من الظالم وكان للقوم الذين خرجوا منعة فقاتلوا السلطان لا ينبغي للقوم أن يعينوهم حتى لا يكون خروجا على السلطان ولا ينبغي لهم أيضا أن يعينوا السلطان حتى لا تكون فيه اعانة على الظلم وان لم يكن لأجل الظلم ولكنهم قالوا الحق معنا أو ادعوا الولاية فهؤلاء أهل البغي فللسلطان أن يقاتلهم إذ كانت له قوة وشوكة وللناس أن يعينوا السلطان ويقاتلوهم) شرح مختصر الطحاوي (اذا وقعت الفتنة بين المسلمين فالواجب على كل مسلم أن يعتزل الفتنة في بيته) هكذا روى الحسن عن أبي حنيفة بان كان المسلمون مجتمعين على إمام وكانوا آمنين به والسبل آمنة به تخرج عليه طائفة من المسلمين فيجب على كل مسلم يقوى على القتال أن يقاتل مع إمام المسلمين الخارجين عليه لقوله عزّ وجل-﴿**فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾ (الحجرات9) (والأمر حقيقة الوجوب) المبسوط (باب الخوارج لا يثبت حكم البغي ما لم يجتمعوا أو تصير لهم منعة) المحيط (إذا وقع القتال بين أهل البغي وأهل العدل يجب على أهل العدل أن يقاتلوا البغاة ليرجعوا إلى امر الله عزّ وجلّ فإن وقعت الفتنة بين باغين يقاتلون لأجل الدنيا والملك كان على الرجل أن يلزم بيته ولا يخرج إلى أحدهما) قاضي خان.

قتال أهل البغي:

(ولا نبدؤهم بقتال حتى يبدأ)والهداية القدوري في مختصره، (إن عندنا يجوز أن يبدأ بقتالهم إذا تعسكروا أو اجتمعوا) الإمام جواهر زاده-، (لا يجوز حتى يبدأوا بالقتال حقيقة) الشافعي، (ثم يحل للإمام العدل أن يقاتلهم وان لم يبدأوا بقتاله وهذا مذهبنا) الذخيرة (لا يحل له ذلك بالقتال ما لم يبدأوا بقتاله حقيقة) الشافعي، (إذا علم الإمام أن الخوارج يشترون السلاح ويتاهبون للقتال ينبغي له أن يحبسهم حتى يقطعوا عن ذلك ويحدثوا توبة ولا يبدأهم بقتال حتى يبداوا لأن قتالهم لدفع شرهم لا لكسر شوكتهم لأنهم مسلمون فما لم يتوجه الشر منهم لا يقاتلهم إن لم يبداوا بقتالهم وهذا مذهبنا) البدائع (وقتال أهل البغي لا يتم إلا إذا تحقق هناك الأمر عند الإمام إما بالمعاينة أو بأخبار صحيحة ولا يعتمد على قول من قال).

أسرى أهل البغي:

(ومن أسر من أهل البغي فليس للإمام أن يبيح قتله إذا كان يعلم أنه لو لم يقتله لم

يلحق إلى فئة ممتنعة ولا يجهز على جريحهم أي لا يتم قتله إذا لم يبق لهم فئة أما إذا بقي يجهز عليه) الذخيرة، إذا قابل الإمام أهل البغي فهزموا وولوا مدبرين فان كانت لهم فئة يتحيزون اليها فينبغي لأهل العدل أن يقتلوهم يجهزوا على جريحهم لئلا يتحيزوا إلى الفتنة فيمتنعوا بها واما أسيرهم فإن شاء الإمام قتله استئصالا لشافتهم وإن شاء حبسه لاندفاع شره بالأسر والحبس وان لم يكن منهم فئة يتحيزون اليها لم يستبح اموالهم ولم يجهز على جريحهم ولم يقتل اسيرهم لوقوع الأمن من شرهم) البدائع فيثبت لنا من هذه النقول كلها أن الأسير من أهل البغي إذا لم تكن له فئة لا يجوز للإمام أن يقتله وله أن يحبسه ويعزره وان كانت له فئة فالإمام مخير إن شاء قتله وإن شاء حبسه.

موانع القتل:

(ان الصبيانية والشيخوخة والعمى والأنوثة موانع من القتل إلا إذا كان هؤلاء قاتلوا مع البغاة فإن قاتلوا قتلوا في حال القتال وبعد الفراغ منه أي في حال الأسر) البدائع (أن المراة لا تقتل بعد الفراغ من القتال لأن قتلها إنما جاز دفعا للشر وقد تدفع بالأسر) المبسوط (إن أهل العدل إذا لقوا أهل البغي فقاتلوا فحمل رجل من أهل العدل على رجل من أهل البغي فقال تبت والقى السلاح يكف عنه وكذلك لو قال اكفف عني حتى أنظر في أمري لعلي أبايعك والقى السلام كف عنه لأنه إنما يقاتله ليتوب وقد حصل المقصود فهو كحربي إذا أسلم ولأنه يقاتله دفعا للبغي وقاتله وقد اندفع ذلك حين ألقى السلاح فاعتبرت التوبة حال القتال وهي بلا شك أقوى من حالة الأسر فالتوبة حال الأسر أولى بهذا الاعتبار فلا يقتل الأسير إذا تاب فعلم من هذا البحث أن التوبة أيضا من الموانع) المبسوط.

موانع العدوان:

لا تسبى نساؤهم وذراريهم لأنهم مسلمون ولا تتملك أموالهم لبقاء العصمة فيها بكونها محرزة بدار الإسلام وما أصاب أهل العدل من كراع أهل البغي وسلاحهم فلا بأس باستعمال ذلك عليهم عند الحاجة وقد اخذ رسول الله ﷺ من صفوان دروعا في حرب هوزان وكان ذلك بغير رضاه وإذا وضعت الحرب أوزارها ردّ عليهم جميع ذلكم لزوال الحاجة) المبسوط (ولا تسبى لهم ذرية ولا يقسم لهم مال ولا بأس أن يقاتلوا بسلاحهم ان احتاج المسلمون إليه) الهداية (ولنا أن عليا رضي الله عنه قسم السلاح بين أصحابه بالبصرة وكانت قسمته للحاجة لا للتمليك) الشافعي (الفصل11 في ذكر أحكام البغاة والخروج على السلطان) من كتاب تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك لنجم الدين الطرسوسي 758 هـ).

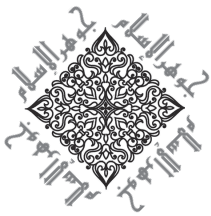

الحماية عن طريق الدعوة

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان (رحمه الله)

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾، (المائدة: 67)، وبخصوص أسباب النزول لهذه الآية الكريمة، وردت روايات عديدة في كتب الحديث والتفسير، منها ما روي عن ابن عباس عن النبي ــ ﷺ ــ أنه قال: « لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعًا، وعرفت أن من الناس من يكذبني فأنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ (المائدة: من الآية:67)، وجاء في رواية أخرى أن رسول الله ﷺ ــ كان يحّرس حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رأسه من قُبة أدم وقال : «انصرفوا أيّها الناس فقد عصمني الله »، (صفوة التفاسير، المجلد الأول، ص:355)، وعن مجاهد قال لما نزلت : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾، (المائدة : من الآية:67). قال: يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي؟ فنزلت: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾، (المائدة:67).،وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾، (المائدة: من الآية:67)، أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان النّبي ﷺ ـ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾، (المائدة: من الآية:67)، قالت فأخرج النّبي ﷺ رأسه من القبة وقال: « انصرفوا أيّها الناس فقد عصمني الله ».

فمن هذه الآية يظهر بجلاء أن سر (العصمة من الناس) إنما هو منطو تحت (الدعوة إلى الله). إذ كانت الظروف قاضية بحراسة الرسول وكلائه فلما لم يعد ثمة من حاجة

إلى إفراد قطاع من الجهد على حدة لمواجهتها، لأن عملية الدعوة هي نفسها قد تكفلت له بالعصمة أيضا، وإن كان موعود العصمة من قبل الله لرسوله بصورة خاصة وأصلية، ولكنه يشمل أمته ـــ ﷺ ـــ كذلك تبعا له .

إن هذه الحقيقة ذات أهمية أساسية وينبغي أن نستعرض ونعالج جميع شئوننا وقضايانا في ضوء هذه الحقيقة، فإذا ما أحيط أهل الإسلام بخطر يعكس مشكلة العصمة والحماية ممن دونهم، فلا يكون له من سبب سوى أن الأمة قد أهملت فريضة الدعوة إلى الله ونبذتها، وإذا ما نهضت الأمة بفريضة الدعوة إلى الله فلتتأكد هي أن الله قد ضمن لها العصمة من كل الأخطار والتهديدات الخارجية وليست هناك حاجة تبعث إلى إفراد قطاع من الجهد على حدة لمجابهتها...بل التركيز الكلي على بذل الجهود والقطاعات بعملية الدعوة إلى الله، وأما فيما يتعلق بالمخاوف والأخطار الأخرى، فالأخذ بالتربص والصبر، لأن أشباحها وظلالها المخيفة، تأخذ تتقلص وتنحسر وتتلاشى تلقائيا فيما بعد. وتجنبا لسوء الفهم ينبغي أن نشير هنا إلى أن المراد بالدعوة في هذا المقام هو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وبعبارة أخرى إيصال رسالة الله إلى عباده الذين لم يدخلوا بعد في دائرة طاعته، وحيثما ورد لفظ الدعوة أو التبليغ في القرآن الكريم فإنما ورد في هذا المعنى، أي إيصال الدعوة إلى غير المسلمين، أما ما يجب علينا حيال جماعة المسلمين أنفسهم، فإن القرآن الكريم يذكره بكلمات: (التذكير، والإصلاح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك..)، ويمكن لنا أن نطلق اسم الدعوة والتبليغ على ممارسة الإصلاح الديني داخل المجتمـــــع الإسلامي على سبيل التجوز إلا أن العملية التي سميت بالدعوة حقيقة إنما هي (عملية إبلاغ الأمم غير المسلمة برسالة الله) دون الإصلاح الداخلي للمجتمع المسلم.

وقد ذكر القرآن قصة «رجل مؤمن» في زمن سيدنا موسى ـــ عليه السلام ـــ كان من أمراء فرعون، آمن بالله ولم يزل يكتم إيمانه حتى كان اليوم الذي أصدر فيه فرعون قراره النهائي في شأن موسى ـــ عليه السلام ـــ، وهو أنه سيقتله ويقضي على ما جاء به.. فلم يتمكن «الرجل المؤمن» من الصبر والسكوت عن الحق، فقام محاميا على موسى ـ عليه السلام ـــ وكلم فرعون وأمراءه بأسلوب جعل كلامه خطابًا دعويًا بكل معاني الكلمة.ـوهذه المرحلة كانت غاية في الحرج والخطورة، فإن فرعون كان قد أعلن عداوته لموسى ـ عليه السلام ـ صراحة، فكان طبيعيًا أن يصبح هو معاديًا كذلك لمن أراد موالاة موسى ـ عليه السلام ـ والقيام معه، ويعاملهما بنوع واحد من

التعذيب والمكر السيئ، ولكن «الرجل المؤمن» لم تخوفه المخاوف، ولم تستعبده المصالح الأخرى، وأبى إلا أن يؤثر المجاهرة بالحق وتبليغه على كل ما سواه. وبعد أن نقل القرآن الكريم خطاب «الرجل المؤمن» قال: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾، (غافر: 45). إن هذه الآية تدل دلالة واضحة على أن الذي كان قد صار درعًا واقيًا للرجل المؤمن من سيئات ما مكروا هو دعوة الحق فإن الرجل المؤمن لم يكن لديه شيء من ثروة أو رأسمال سوى معرفة الحق ودعوته، بينما كان فرعون عدوه، يملك كل أنواع القوى المادية، ولكن الرجل المؤمن قام بدوره كداع إلى الحق، تغمده الله بعنايته وحمايته، ولم يتمكن فرعون ـ رغم كل طاقاته ـ من تحقيق نواياه المشؤومة، وإنفاذ ما مكر به من سيئات.

إن عصمة القائمين بعملية الدعوة إلى الله موعود إلهي حق ـ لَا رَيْبَ فِيهِ ـ ولكن تحقيق هذا الوعد متوقف على القيام بعملية الدعوة الحقيقية، دون أي عمل سواها، ولو تشاغلنا بأي عمل آخر ثم أضفينا عليه عنوان (الدعوة إلى الله) فليس لنا أن نتوقع أبدا أن وعد الله سيتحقق ليعصمنا مما نتعرض له من أخطار ومهالك في طريقنا.

من اخر إصدارات الأستاذ صالح العود

كتاب تعطير الكلام في سيرة شيوخ تونس الاعلام

تقديم الشيخ عبد القادر عاشور خطيب مسجد عمر بن الخطاب باريس

ترجم فيه الشيخ صالح العود

لاصحاب الفضيلة (محمد الحبيب النفطي ومحمد الطاهر الجوابي وعبد العزيز مزيد وعبد الرحمان الحفيان ومحمد بوالاجفان وعبد الرحمان خليف ومحمد الشاذلي النيفر ومحمد الهادي الكشك ومحمد محفوظ وجلول العرافة رحمهم الله)

جزى الله خيرا الأستاذ صالح العود على وفائه وجهوده في التعريف باعلام تونس.

في رياض السنة

الحديث السابع والعشرون من الأربعين النووية : البر والإثم

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن النواس بن سمعان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»، رواه مسلم

عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: «**أتيت رسول الله ﷺ قال: جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك**» حديث حسن رويناه في مسندي احمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن.

راوي هذا الحديث، الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه واحمد والدارمي في مسنديهما، هو من أهل الصفة الذين لازموا رسول الله ﷺ حيث قال النواس بن سمعان رضي الله عنه «**أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة أي العودة إلى الوطن إلا الأسئلة التي ترد على المصطفى ﷺ من بعض أصحابه**».

وهذا الحديث بجزأيه الجزء الذي أخرجه مسلم في صحيحه «**البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**» والجزء الذي رواه احمد والدارمي «**أتيت رسول الله ﷺ قال : جئت تسأل عن البر..**».

هذا الحديث يدخل في باب الأدب الرفيع والخلق الكريم الذي بعث لإتمامه رسول الله ﷺ القائل «**إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**» حيث اتمها عليه الصلاة والسلام بأقواله وأفعاله فكان كما قال فيه ربه جل وعلا ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ وجعله سبحانه وتعالى حجة وقدوة ﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾.

والبر الذي يعرفه رسول الله ﷺ بأنه حسن الخلق هو الخير في كل مجالاته وميادينه:

مشاعر وأقوالا وأفعالا، فالبار حقا المطيع لربه صدقا هو من صفت سريرته وصدق وعف لسانه وحسنت أفعاله وكل تصرفاته، والتخلق بحسن الخلق هو كما عرفه بعضهم «**طلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى وقلة الغضب وان يحب للناس ما يحب لنفسه**» وقد فسره بعضهم «**بأنه الإنصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الأحكام والبذل والإحسان في اليسر والإيثار في العسر**» وضده الجور والإثم «انظر شرح الشبر خيتي لهذا الحديث».

وقد ورد البر في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الطاهرة في معان عديدة ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾، ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾.

لقد اعتبر رسول الله ﷺ البر هو حسن الخلق الذي يدخل ضمن المعاملة التي هي علامة التدين الصادق، فالدين المعاملة، والدين النصيحة وقد قال عليه الصلاة والسلام لمن جاءه يستنصحه «**قل آمنت بالله ثم استقم**» **وقال جلّ من قائل** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

قال رسول الله ﷺ «**هل أدلكم على أقربكم مني مجالس يوم القيامة ؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال أحاسنكم أخلاقا**» وروى الحسن عن جده عليه الصلاة والسلام «**أحسن الحسن الخلق الحسن**».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما «**الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**».

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه «**آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين جعلت رجلي في الغرز (يعني الركاب) أنه قال حسّن خلقك يا معاذ**».

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «**إن حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار ولو كان القوم فجارا**».

إنها آثار تدل كلها على منزلة الخلق من الدين إنّ «الأخلاق» هي الدين وهي علامته الدالة عليه وعلى تمكنه من قلب صاحبه وقد كان رسول الله ﷺ مضرب المثل في الخلق الكريم كان كذلك حتى قبل أن يبعثه نبيا ورسولا فقد كان يلقب بالصادق الأمين ﷺ، أما

بعد البعثة فقد زاد الله في خلقه كمالا وجمالا حتى قالت في حقه السيدة عائشة رضي الله عنها «**كان خُلقه القرآن**» وقبلها قالت السيدة خديجة رضي الله عنها لما عاد إليها ترتعد فرائصه من غار حراء قائلا «**دثروني زملوني، قالت : والله لن يخزيك الله انّك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر**» وقال عنه صاحبه أنس بن مالك رضي الله عنه «**ما قال لي أف قط..**» لقد كان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم مع القاصي والداني مع الصغير والكبير وفي حالتي الغضب والرضا والعسر واليسر أدبه ربه فأحسن تأديبه كان عليه الصلاة والسلام كما أوصى بذلك المولى سبحانه وتعالى يدفع بالتي هي أحسن قال يوم الطائف «**اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون**» وقال يوم الفتح «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» هكذا كان عليه الصلاة والسلام مع أمته فأحبته وأكبرته وعظم في أعين من آمنوا به واتبعوه وأكبره حتى من لم يؤمنوا به ولم يتبعوه ﷺ وكرّم وعظّم. فإذا كان البر هو حسن الخلق قولا وفعلا وسلوكا فما هو ضد البر يا ترى ما هو الإثم؟ يجيب عليه الصلاة والسلام.

«**والإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس**» ما أدقه من تعريف لا يمكن أن يأتي به إلا من يعلمه ربه فلا ينطق عن الهوى وتلك هي حال رسول الله ﷺ الذي إمتنَّ عليه ربه بقوله ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾، ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ لقد عرف الله رسوله الكريم ﷺ دقائق الأمور وخفاياها فإذا به يصور ما تخفيه الصدور : الإثم والمراد به الذنب بسائر أنواعه فما جاش في النفس من شر، لأن الكلام والفعل ينشآن أولا في النفس فإذا كانت النفس عامرة بالطاعة مطمئنة بذكر الله فإن الإثم لا يمكن أن يَحِيك فيها فإذا خويت النفس من الإيمان أصبحت محلا للوسواس الخناس وإضمار الشر والتفكير في إتيانه، فالنفس «القلب» هي محل الخير وهي محل الشر «**ألا وان في الجسد مضغة إذا صَلُحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

والحمد لله فما لم يدخل العبد ما حاك في نفسه إلى حيز الفعل فانه مرجو العفو عنه قال جل من قائل ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ وقد ورد في الحديث «**من همَّ بالسيئة ولم يفعلها لم تكتب له**» بينما من همَّ بالحسنة تكتب له.

وفي الغالب فإن الإنسان يكره أن يطلع الناس على ما يضمره من شر، ومن نعمة الله علينا ورحمته بنا انه سترنا على بعضنا البعض يقول عليه الصلاة والسلام «**لو تكاشفتم ما تدافنتم**» كما أن المولى سبحانه وتعالى نهانا عن كشف أستارنا وكشف الناس وقال عليه الصلاة والسلام «**من ستر مسلما ستره الله**» ونهانا سبحانه وتعالى عن التجسس (**ولا تجسسوا**) والذي لا يهمه ان يعرف الناس ما تضمر نفسه من إثم بل ويتحدث بما

وقع. فيه وما وقع منه محروم من عفو الله لقد اخبر عليه الصلاة والسلام أن من وقع في قاذورة من القاذورات وستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وان شاء عفا عنه.

فما دام المسلم لا يطلع على إثمه غيره ولا يكشف ما ستر الله عليه من معاصٍ ففيه حياء والحياء شعبة من الإيمان كما ورد في الحديث الشريف فالمطلوب ممن يحيك في نفسه الإثم ويكره أن يطلع على حقيقة أمره الناس «وتلك حالنا جميعا إلا من رحم ربك» فما عليه إلا أن يتوب وينيب ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وان لا يمر إلى تجسيم ذلك الإثم وجعله واقعا ملموسا وذلك لكي يكون محل عفو الله وغفرانه وخاتمة هذا الحديث أن وابصة جاء إلى رسول الله ﷺ وقبل أن يهم بسؤال رسول الله ﷺ بادره رسول الله ﷺ بالقول «**جئت تسأل عن البر**» وتلك من رسول الله ﷺ معجزة فإن الله تبارك وتعالى اعلم رسوله عليه الصلاة والسلام بما في قلب هذا الصحابي وقد تكرر هذا الأمر من رسول الله ﷺ وكانت في ذلك الطمأنة لقلوب أصحابه بأنه نبي الله ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى. بادر الرسول ﷺ بالقول العام ثم فصل بعد ذلك فالقاعدة والأساس ان قلب المؤمن هو دليله وهاديه إلى الخير، فقلب المؤمن الصادق العامر بذكر الله والذي هواه مع ما جاء به رسول الله ﷺ القائل «**لا يكون أحدكم مؤمنا حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» قال الله تعالى «**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**» فقلب المؤمن السليم الخالي من الشوائب والشبهات البعيد عن الزيغ يدله على الخير وينبهه إلى الشر. **قال له** : «**استفت قلبك**» أي اسأل قلبك ثم دخل رسول الله ﷺ في بيان حقيقة البر وعلامته، إن البر هو ما اطمأنت إليه النفس واطمأن له القلب وقلب المؤمن ونفس المؤمن يطمئنان بذكر الله ويطمئنان إلى الخير والى ما يرضي الله ويحقق طاعة الله الكاملة الصادقة المخلصة إنهما يجدان (النفس والقلب) في الطاعة راحة ويجدان للطاعة حلاوة لا تساويها الحلاوات الزائلة والزائفة التي هي كلها ترهات أشبه ما تكون بالأحلام وبالسراب الزائف.

أما «**الإثم فهو ما حاك في النفس وتردد في الصدر**» فالإنسان اعرف بنفسه التي بين جنبيه من غيره من الناس الذين لا يعرفون منه إلا الظواهر فيحكمون بها. الله وحده هو الذي يعلم البواطن والسرائر وبعد الله فإن العبد يستطيع أن لا يجعل الناس يغالطونه بما يلقون عليه من الصفات والمحامد التي يعلم علما يقينيّا انها ليست فيه ولذلك ارشد رسول الله ﷺ بأن ندعو حين نمدح ونشكر فنقول «**اللهم اغفر لي ما لا يعلمون واجعلني أحسن مما يقولون**». فالإثم هو ما حاك في النفس وتردد في الصدر من همّ وتفكير في فعل الشر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «**وان أفتاك الناس وأفتوك**» فإن فتواهم لن تغير من الأمر شيئا.

العقل.. وحدود الغيب

بقلم الدكتور محمد البشاري

الأمين العام لمجلس المجتمعات المسلمة

رحبت الإنسانية بلا تردد ولا شك بمعطيات الاتجاه نحو الحداثة، ومنتجاتها المادية محكمة السرد، فهي خلاصات تتكئ على مناهج وأدوات أثبتت نسبتها للحقيقة، حتى بات الإنسان يرى خياله في الماضي واقعاً مُعاشاً. وحين أغرقت المجتمعات في حالة الدهشة الأولى إزاء تداعيات الحروب والظلم، خاصة في الجغرافيات الأكثر تقدماً وتسارعاً في التطور، باتت هذه المجتمعات تتلقف منها كل وارد في صناعة، أو اختراع، أو سياسة، حتى تعدى الأمر لتقليد ثقافي وسلوكي، اختلط الحكيم منه بالعبثي، أو على الأقل «غير الناضج». إذ رافقت المادية تحولات غيرت من مكانتها، وجعلت منها مصدر ثقة ودليلاً قاطعاً، وهذا على كافة المستويات دون تفريق، مما سرب هذا الحس للوجدان الإنساني، فبات اليقين «متهماً»، والإيمان «مشككاً»!

هذا الاتجاه يمثل حكماً قاسياً على الإنسان، ففي حين كانت الغاية الاعتزاز بفردانيته، وشخصيته وذاته، بات هذا يحمله ما لا يحتمل من طاقات، أو إمكانات، إذ تعتبر المادية تصريحاً باعتماد العقل كمصدر موثوق فيه دون سواه، بل وإقحامه في مساحة موسومة بـ: «ممنوع الخطأ»، و«مرفوض كل ما هو غير محسوس»، وهذا ما لا يمكن مواءمته مع قلب مؤمن، أو عقل ذي بصيرة! إذ يضم العالم الحسي المحيط بالإنسان الكثير من المعارف والحقائق والمخلوقات التي «لم»، وربما «لن» يُقدَّر له أن يتعرف عليها، وفي قول الخالق – سبحانه وتعالى – إشارة لذلك، حين أقسم في كتابه الكريم: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**﴾(39) (سورة الحاقة)، مما

يدل على محدودية الإدراك الإنساني، سيما في ظل رحابة غيبيات الوجود الوارف. فهل يكتفي الإنسان بمعرفته المحدودة، أم يظل يقفز ساعياً لتحويل الغيب لما هو معلوم؟ – إن استطاع – أو كما يقول الأديب الأميركي (إدجار آلان بو) في جملته الشهيرة: «لا تصدق كل ما تسمع، وصدق فقط نصف ما ترى»، وهذا يعبر عن طبع إنساني قبل أن يكون تأثراً بالمادية.

إذا استثنينا المادية كسبب دافع لإنكار ما نجده لدى البعض من إنكار كل ما يتصل بالغيب، وإقصائه بعيداً عن العقل، سنجد أن الإنسان عدو ما يجهله، إذ يمكن أن تكون قلة الدراية في ماهية ذلك الغيب، أو وجود التصورات المغلوطة عنه، هي الدافع في رفضه جملةً وتفصيلاً. ومن جانب آخر يمكن لنزعات الذات المطبقة على تصوره أن تقنعه بكمال رجاحته العقلية التي تتنافى وفكرة النقصان بلا «قوة الإيمان». وفي ذات السياق فإن النفس إذا ما والفت على فكرة ما، رفضت تغييرها بعدما باتت قناعة ثابتة ومتأصلة في كيانه، ولذا نجد أن الرسل واجهوا صعوبة في نشر الدين، التي كانت قد قدمت طرحاً مخالفاً لما اعتاد عليه الأقوام وتوارثوه «أباً عن جد».

تطويع العقل من باب التعقل لا التقيد، يبدو مجدياً في تحقيق التوازن بين مكونات الإنسان من جسد، وعقل، ونفس، وقلب، وروح. إذ يدفع الإنسان بطاقته الذهنية في سبيل الاستزادة النافعة، مبتعداً عن الخوض في ما لا يمتلك سلطة عليه، إذ يبدو على الإنسان في موقفه إزاء الغيب، تصديق ما لا يصدقه العقل التجريدي المادي، بناءً على يقين إيماني واستدلال «حسي» لا ينفك يحيط بواقعه المعاش. فوجود الغيب «مستتراً»، هو سر التمييز بين الصالح والمسيء بين العباد، شاحذاً صوت الضمير باستمرار لتذكر ما يجهله، وخشية الخالق سبحانه، واستشعار وجوده في كل حين. ثم إن حكمة الله البالغة تقتضي إخفاء الغيبيات، ليصار للإنسان أن يقوم بمهمته في إعمار الأرض، أضف إلى ذلك أن خالق هذا الإنسان أعلم بما يطيقه وما لا يطيقه، وربما ما وجد في عالم الغيب يحول دون ديمومة الحياة بطبيعتها إذا ما كشف عنه الستار.

أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر الأداة الثالثة : أصول الفقه

بقلم الدكتور مصطفى قطب سانو

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي ـ جدّة

لئن أسلفنا فيما مضى أن النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر يهدف إلى تحقيق غايتين عظيميين، وهما التوصل إلى فهم سديد للمراد الالهي من نصوص الوحي من جهة، وضمان حسن تنزيل ذلك المراد في الواقع المعيش من جهة ثانية، لهذا، فإنه لا تحقيق بأيّ حال من الأحوال للغاية الأولى المتمثّلة في التوصّل إلى فهمٍ سديد وقويمٍ لمرامي ومقاصد الخطاب الالهيّ السامي ما لم يتمكن المرء من إجادة معرفة فريدة، صُقلت وهُذّبت وحظيت بتتابع الأجيال على مراجعتها وتحقيق القول فيها حتى أثبتت الايام توقف حُسن الفهم على إجادتها، وذلك لاشتمالها على مهمّات القواعد والمبادئ الموصلة إلى استنباط المعاني الثاوية في جنبات النصوص الشرعية، ونروم بتلك المعرفة.

علم أصول الفقه، وهذه المعرفة عبارة عن العلم بمجموع القواعد والمبادئ الأساسية الأصولية التي يتوصل بها إلى حسن فهم المعاني المرادة للشارع من نصوص الوحي، سواء أكانت تلك المعاني أحكاما أم مقاصد.

إن إحكام المرء حلقات هذا العلم وقواعده خير معين على التوصل إلى حسن فهم لمعاني نصوص الوحي كتابا وسنّة وفهما سديدا غير كليل ولا مبتور. كما أن عدم الإشراف على مسارح هذا الفنّ وعدم التمكن من مبادئه يقود إلى صيرورة فهم المرء

لمعاني نصوص الوحي فهما غير موثوق به، وذلك لاشتمال هذا الفنّ على معظم الأدوات العلمية التي يتوقف على إجادتها حسن إدراك المعاني الثانوية بين طيات نصوص الوحي كتابا وسنة. وإذا كُنّا قد كررنا القول في أكثر من موضع بأن إحدى غايتي النظر الاجتهادي التوصل إلى حسن فهم للمعاني المرادة للشارع من نصوص الوحي، فإن تحقيق هذه الغاية تتوقف على مدى تمكن متفهم الوحي من هذا الفنّ الذي تنامت وتطورت مباحثه وموضوعاته ومسائله على أيدي سائر علماء الأمة من محدثين، ولغويين، ومتكلمين، وفقهاء الخ.. ولهذا، فلا غرو أن يجد المرء ذكر هذا الفنّ ضمن الأدوات المؤهلة للنظر الاجتهادي متكرّرا

وحاضرا من القرن الرابع الهجري إلى قرننا هذا، بل لا عجب أن يجد المرء ثمّ اتفاقا من لدن أهل العلم الذين عنوا بضبط آلات النظر الاجتهادي على ضرورة إشراف المتصدّي للنظر الاجتهاديّ على مبادئ هذا العلم ومباحثه الأساسية، وذلك منذ أن تمّ تدوينه وفصّلت مباحثه وقعّدت قواعده، بل إن بعض علماء القرن السادس الهجري انتهوا إلى القول **بأنه هو العلم الأهمّ والأوحد الذي يحتاج إليه المرء للتأهل للنظر الاجتهادي**[1] كما أن بعضهم كالإمام الشوكاني وغيره، **خلصوا إلى اعتباره عماد فسطاط الاجتهاد، وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه**[2]

إن مردّ كل هذه الاعتبارات لمكانة هذا الفنّ الإسلامي الأصيل إلى ما يتميّز به من ضبط منهجي محكم لموضوعاته ومسائله، إضافة إلى ما تشتمل عليه مباحثه وقضاياه من مبادئ وأصول وأدوات قادرة على ترشيد الفهم وتسديده وإبعاده عن الشطط وسوء الفهم والتأويل للمعاني المرادة للشارع.

وبناء على هذا، **فإنه لا يمكن لغاية النظر الاجتهادي المتمثلة في التوصل إلى حسن فهم لمعاني الوحي الإلهي أن تتحقق في أرض الواقع ما لم يشرف المرء على مباحث هذا العلم، ويتمكن منها تمكنا كافيا بحيث يغدو بعدُ قادرا على إدراك أحكام الخطاب**

---

(1) قال الرازي في كتابه بعد أن أورد شروط التصدّي للاجتهاد في عصره ناقلا عن الإمام الغزالي: «.. **وقد ظهر مما ذكرنا أن أهمّ العلوم للمجتهد علم أصول الفقه، وأما سائر العلوم فغير مهمة في ذلك.**» المحصول- مرجع سابق- 6/ 25 باختصار

(2) وفي هذا يقول الشوكاني: «..**فإن هذا العلم هو عماد فسطاط الاجتهاد، وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه..**» إرشاد الفحول 2/ 301

الإلهيّ وموارد كلامه ومصادره من الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والإجمال والتفصيل والمنطوق والمفهوم الخ..

وعليه، فلئن كان لهذا الفنّ كل هذه المنزلة والمكانة ضمن هذه الأدوات المؤهّلة للنظر الاجتهادي، فللمرء أن يتساءل عن القدر الذي يحتاج المرء إلى إتقانه، والإشراف عليه من مباحث وقضايا هذا الفنّ، وخاصة أنه قد خالطت مباحثه الأصيلة مسائل دخيلة غريبة، كما أنها قد وفدت إلى مسارحه رواسب كلامية معقّدة وقضايا لغوية مجرّدة لا يمتّ أي منها في حقيقة الأمر بصلة معتبرة بهذا الفنّ ولا بمباحثه وقضاياه الأساسية الكبرى.

إننا نرى أنه ليس من المقبول علميّا ضبط ذلك القدر الذي لا بُدّ منه على التعيين، وإنما يمكن القول بأن تحصيل المرء المتطلّع إلى التصدّي للنظر الاجتهادي للقدر الكافي من هذا الفنّ يتطلّب ذلك منه «..**أن يُطوّل الباع فيه، ويطّلع على مختصراته، ومطوّلاته بما تبلغ إليه طاقته.. وعليه أن ينظر في كلّ مسألة من مسائله نظرا يؤهّله إلى ما هو الحقّ فيها..**»[1] وليس بلازم عليه في شيء الانكفاء على المباحث الدخيلة على هذا العلم المتأثرة بثقافات وخلفيات بعض المتكلمين واللغويين والفقهاء[2]، ككثير من مباحث المنطق الصوري، وعلم الكلام، وبعض المباحث اللغوية العقيمة كمبحث وضع اللغات ومبحث الاشتقاق وجانب كبير من مبحث حروف المعاني ومعاني الإعراب. وكلما استرشد المرء بما ذكره الإمام الشاطبي[3] إزاء ضبط مباحث

(1) انظر إرشاد الفحول -مرجع سابق- 2/ 301 باختصار وتصرف

(2) وقد أشار الإمام الغزالي إلى تأثر كثير من مباحث علم الأصول بخلفيات المؤلفين فيه من متكلمين ولغويين وفقهاء، وأشار في معرض بيانه تعلق الأصول بالكلام إلى ذلك يرجع إلى غلبة الكلام على طبائعهم، فقد حملهم «..حب صناعتهم على خلطه بهذه الصنعة، كما حمل حبّ اللغة والنحو بعض الأصوليين على مزج جملة من النحو بالأصول فذكروا فيه من معاني الحروف، ومعاني الإعراب جملا هي من علم النحو خاصة. وكما حمل حب الفقه جماعة من فقهاء ما وراء النهر كأبي زيد رحمه الله وأتباعه على مزج مسائل كثيرة من تفاريع الفقه بالأصول..) انظر: المستصفى مرجع سابق 1/ 10 باختصار

(3) ولقد وضع الإمام الشاطبي ميزانا لمحاكمة كثير من مباحث علم الأصول، ولو نال ذلك الميزان كبير اهتمام من ذلك اليوم لأعيد علم الأصول لسيرته الأولى اعني خدمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ما قاله: «..كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية، أو آداب شرعية، أو لا تكون عونا في ذلك، فوضعها في أصول الفقه عارية...ذلك أن هذا العلم لم يختص بإضافته إلى الفقه إلا لكونه مفيدا له، ومحققا للاجتهاد فيه، فإذا لم يُفد ذلك، فليس

هذا العلم وتخليصها من الشوائب والخلائط، كان إلى ضبط هذا العلم وإتقانه أقدر وأقوى، بل كان إلى التمكن من فهم نصوص الوحي كتابا وسنّة وتحصيل معانيها أحكاما ومقاصد اقرب، وذلك لأن الغاية الأساسية التي رام الإمام الشافعي رحمه الله وراء ابتكار وتدوين هذا العلم تمثلت في صيرورته الأداة التي تؤهل المرء للنظر الاجتهادي فهما وتنزيلا، ولذلك، فلا عجب أن يجد مباحث هذا العلم مشتملة على سائر المعارف الجزئية من قياس، وبراءة أصلية وآيات أحكام وأحاديث أحكام، ودليل عقلي فهذه المعارف الجزئية ذكرها العلماء أدوات أساسية للنظر الاجتهادي عبر القرون الغابرة فهذه المعارف برمتها يهون إدراكها ومعرفتها على من اتقن علم الأصول، واشرف على مباحثه ومسائله وقضاياه الأساسية، مما يدلّ دلالة واضحة على أهمية هذا العلم وضرورته لكل متصدّ للنظر الاجتهادي فهما وتنزيلا

وإذا كُنّا قد بيّنا القدر الذي لا بُدّ للمرء من إدراكه في هذا العلم، فإنه حريّ بنا أن نتلو ذلك بالإشارة إلى اهم آلة يتوقف عليها إحكام وإتقان حلقات هذا العلم، **تلك الأداة هي العربية، التي سبق لنا بيان أهميتها وضرورتها في فهم النص فمن المتعذّر إن لم يكن من المستحيل إتقان هذا العلم وإدراكه دون معرفة أصيلة باللغة العربية،** ويرجع سبب ذلك إلى أن جُلّ القواعد إن لم يكن كلها التي اعتمدها علماء الأصول مستعارة ومشتقة من قواعد اللغة العربية من نحو، وصرف وبلاغة[1]، فمباحث المفهوم، والمنطوق والأمر المنهي، والإطلاق والتقييد، والعموم والخصوص، والمجاز والحقيقة، والإجمال والتفصيل، والظهور والخفاء، والدلالات وغيرها..

بأصل فيه...وكل مسألة في أصول الفقه ينبني عليها فقه إلا أنه لا يحصل من الخلاف فيها خلاف على فرع من فروع الفقه، كوضع الأدلة على صحة بعض المذاهب إو إبطاله عارية..» الموافقات 1/ 41 باختصار وتصرف. وكذلك عني الدكتور طه جابر في خاتمة كتابه (أصول الفقه) –منهج بحث– بإيراد جملة من الضوابط القيمة يمكن الاستفادة منها في تحقيق ما تمناه العلماء منذ عهد بعيد في تنقية مباحث علم الأصول من الرواسب الكلامية واللغوية. انظر: أصول الفقه الإسلامي واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي طبعة ثانية 1995م

(1) وقد أشار إلى هذا القول أبو الحسين البصري إذ قال: «ليس الشرط بعد معرفة الكتاب والسنة إلا أصول الفقه، وان أهل أصول الفقه قد نقلوا عن العربية والمعاني والبيان ما يحتاج إليه المجتهد» انظر: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد الصنعاني (الكويت، الدار السلفية، طبعة اولى1985)134 وأشار الشاطبي هو الآخر إلى هذا فقال «..وغالب ما صُنّف في أصول الفقه من الفنون إنما هو من المطالب العربية التي تكفل المجتهد فيها بالجواب عنها..» الموافقات مرجع سابق 4/ 115 .

كلها مباحث قائمة على قواعد العربية، **فمن لم يكن له إلمام ولا إحاطة باللغة، فمحال عليه بل هيهات أن يحكم حلقات علم الأصول، ويصبح قادرا على الاستفادة منه، سواء في فهم نصوص الوحي –كتابا وسنة– أم في استنباط الأحكام من تلكم النصوص.**

ولهذا، فإذا ما تخيّل أحد فهم الأصول فهما أصيلا بعيدا عن فهم العربية، فإنه لا يعدو أن يكون ذاك توهما لا نصيب له من الواقع، كما لا يعدو أن يكون ذلك الفهم في حدّ ذاته فهما قاصرا لا يؤهل صاحبه للاستنباط من النصوص، ولا يُمكّنه من الترجيح بين الآراء والامارات عند تعارضها وتقابلها وتمانعها. وبناء على ذلك، فإن اشتراط العلم بالأصول يتضمن تضمنا غير مباشر اشتراط معرفة العربية، لإنه لا إتقان صحيحا للأصول ما لم يسبقه إتقان محكم لمبادئ اللغة العربية.

وخلاصة القول هي أنه لا يمكن تحقيق غاية النظر الاجتهادي الأولى والمتمثلة في التوصل إلى حسن تصوُّر وتجسيم للمعاني التي دلت عليها نصوص الوحي– كتابا وسنة– **ما لم يتمكن المرء من هذا العلم الذي قصد به يوم نشأته أن يكون آية يتوقف على إجادتها ممارسة النظر الاجتهادي سواء في فهم النصوص أم في تنزيل المعاني المفهومة منها في الواقع المعيش، وكاد أن يكون هذا العلم أيام نشأته علم الاجتهاد الأوحد والأعظم**، ولكن نظرا للتغيرات والتطورات والتحويرات الجذرية والنوعية التي طرأت على مباحثه ومحتوياته على ايدي كثير من المتكلمة والمناطقة واللغويين وغيرهم، لذلك، حِيلَ بين هذا العلم وبين تلك الغاية الأساسية من نشأته والتي تمثلت في ضبط حركة النظر الاجتهادي وتوجيهه وجهة حسنة، ولا غرو أن يمسي بعد ذلك أحد علوم النظر الاجتهادي الذي يمكن الاستعانة به في تحقيق إحدى غايتي النظر الاجتهادي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال اعتباره في هذا العصر علم الاجتهاد الأوحد والاهمّ، بل هو كغيره من العلوم التي سبق الحديث عن أهمّيتها في النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر.

الأستاذ أنور الجُنْدِي رحمه الله عملاق الفكر ورجل الدعوة واليقظة

(1335 - 1422هـ= 1916 - 2001م)

بقلم الأستاذ صالح العَوْد

تنويه..

لمَّا فاتحتُ مدير المجلة : الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي حفظه الله، في موضوع هذا المقال، أجابني بقوله: إنه يستحق .. فهو من كُتّاب مجلة جوهر الإسلام، وهذا بعض حقه عليها.. وقد زارنا في بيت الشيخ الوالد رحمه الله برفقة الكاتب/ المؤرخ الدكتور عبد الحليم عُوِيس رحمه الله في طريقهما إلى حضور مؤتمر الفكر الإسلامي بالجزائر.اهـ

فمَنْ يكون هذا المفكر الصنديد والبارع حقا وفعلا ؟

وقبل أن أُحَدِّث القراء عنه وعن فكره الخصب، وأعماله المجيدة في حياته الحميدة رحمه الله وأحسن مثواه، لابد أن أوطئ إلى ذلك بتعريف جميل وسديد عن شخصه الفذ، بسطور مفعمة بالحب والتقدير والإعجاب مِنْ جاره الذي كان يلقاه كل صباح عند كشك بيع الصحف والمجلات ما يزيد على أربعين عاما، وهو الكاتب والأديب الدكتور حلمي محمد القاعود (الفائز بجائزة مجمع اللغة العربية عام 1968م، والحائز على جائزة المجلس الأعلى للآداب والفنون بالقاهرة عام 1974م، وتكريم مؤتمر أدباء مصر له عام 1998م، وأخيرا جائزة التميز في النقد الأدبي من اتحاد الكتاب عام 2020م)، قال منوها ولاهجا بالثناء عليه:

(الأستاذ أنور الجندي رحمه الله كان من المرابطين على ثغور الإسلام المهددة، عاش تجربة حافلة بالمتاعب والآلاَم،والتغييب والتهميش، مع أن أعماله التي قام بها، هي أعمال تقوم بها مؤسسات تضم عشرات بل مئات الرجال،ولا أبالغ في هذا، لأني عشت معه منذ منتصف الستينيات تقريبا، ومطلع العمر الأدبي والفكري، ورأيت الجهد الذي كان يبذله محتسباً لوجه الله الكريم...

...مُنِع من نشر كتبه ومقالاته في دور النشر الرسمية، وحُرِمَ من حوافز العمل، والاستضافة في الإعلام الرسمي، فآثر أن يركز جهده على التاريخ القريب والبعيد، ويستخرج من الوثائق والشهادات المهمة ما يكشف كثيرا من القضايا والأسرار الغائبة عن الناس...كان بمعاشه الضئيل يطبع كتبه في إحدى المكتبات المتواضعة على ورق رخيص، ويعطيها لدار نشر معروفة، تضع لها أغلفة مناسبة، ولا ينتظر عائدا، وظل حتى رحيله يركب الحافلة الحكومية، ذات التذكرة الرخيصة... كان متواضعا في ملبسه، ومأكله، لأنه كان يدخر كل قرش من أجل نشر ما يكتبه حِسْبة لله، وظل هكذا حتى رحيله، فأنتج مئات الكتب والرسائل... كان لابد أن أُنْصِفه بعد رحيله، وقد خصصته بكتاب:(**الزاهد.. في صحبة الأستاذ أنور الجندي..حياته- أدبه - فكره**)، وقد اقترحتُ أن تنهض مؤسسة إسلامية أو ثقافية بنشر إنتاج الرجل الغزير»[1].

* **اسمه**: أنور سيد أحمد الجندي فَرْغَلِي.

* **مولده**: في 5ربيع الأول سنة 1335 هـ الموافق لشهر ديسمبر سنة 1916 م في مدينة ديروط من أعمال محافظة أسيوط بمصر.

* **أسرته**: أصولها من اليمن (منطقة الحُدَيْدَة)، هاجرت إلى مصر، وكان والده آنذاك من رجال الأعمال وتجار القطن، وكان في نفس الوقت من محبي أهل العلم والفضل..

يقول الأستاذ أنور عن تربيته في صغره: «عَوَّدَنا والدي رحمه الله على صلاة الفجر في مسجد البلدة، فكان يوقظنا لننادي للصلاة ولنهرع إلى المسجد والاتصال بالعلماء، وحضور مجالس العلماء التي كانت تعقد من العصر إلى المغرب.. وكنا نذهب إلى منزل جدنا - القاضي الشرعي - فنجد عنده كتب التراث التي كان يحبها ... وكان يأتي بالصحيفة اليومية، ويدعونا إلى قراءتها، ونتنافس على قراءة عناوينها، وفهم موضوعاتها...

(1) مقتطفات من الحوار الطويل معه الذي أجرته ونشرته مجلة (المشكاة) المغربية (عدد 58-59 / سنة 1443هـ = 2022م) صفحة178

ونشأنا وفي بيتنا مكتبة حافلة، فقرأنا في مطالع حياتنا: (مقدمة ابن خلدون/ والإحياء للغزالي/ وتفسير الجلالين / والبخاري / وقصص الأنبياء)، فنفهم قليلا، ولكنا نُحِسّ بأن هناك جوا عطرا مُونِقًا من رحمات الله... وكنا ننتقل من مجالس الذكر إلى حلقات العلم، وكان يجمعنا – رحمه الله – لنقرأ معا آيات القرآن، وأسماء الله الحسنى... كل هذا كان أرضية حقيقية، لما جاء بعد ذلك حين قرأنا:(الرسالة / والهلال / والمقتطف»[1].

=**دراسته**: انتقل إلى مدينة القاهرة، ودخل الجامعة الأمريكية لدراسة اللغة الإنجليزية وآدابها فيها.

جهوده في خدمة العلم وتوجهاته الفكرية

كما رآها ورواها معاصروه وشاهدوه من رجال العلم والفكر وأهل الثقافة، والكُتّاب الذين يلتقطون أعمال الكبار، فضْلا عن رصْد الصحف والمجلات في عصرهم للتعريف بهم أحيانا، إنْ حالفهم الحظ والله أعلم، وأؤكد هذا، إن حصل فهو بعد مماتهم وليس في حياتهم، وهي عثرات وسقطات أحسبها،لذا وضعتُ كتابا بعنوان: (**أعلام أهمَلَتْها الأقلام**).

إن حياة المفكر العظيم أنور الجندي رحمه الله وطيب ثراه،بحر لا تنزحه الدلاء، فضْلا عن صبره مثل صبر أيوب عليه السلام، فقد كان– كما تحدث عن نفسه– : «قرأتُ بطاقات دار الكتب المصرية، وهي تربو على مليوني بطاقة، وأحصيتُ في كراريس بعض أسمائها، وراجعت فهارس المجلات الكبرى... لقد اضطُرِرتُ وأنا أُعِدّ (**الموسوعة الإسلامية العربية**) إلى أن تكون لي قائمة تضم أسماء الكتب التي تلزمني وأرقامها... ومن ثمَّ عكفتُ على دراسة ما يزيد على نصف مليون بطاقة، أخذتْ مِنَ الوقت أكثر من خمسة أشهر، راجعتُ فيها بطاقاتٍ يحتوِيهَا أكثر من (180) صندوقا، وأعددتُ من ذلك مجلدا يحتَوي على أكثر من خمسة آلاف كتاب، بالإضافة إلى الفهارس الضخمة للصحف والمجلات التي صدرت منذ عام 1871م حتى اليوم».

في حق هذا الرجل الأعجوبَة في البحث والتنقِيب، والقراءَة الطويلة، والمطالعة الجميلة دون انقطاع: إنه آية الخلف لرجال السلف، في خدمة العلم للعلم، وللأجيال المتعاقبة على مر الدهر، فصارت أعمالهم خالدة، وأسماؤهم تالدة، بل هم قدوة

(1) عن كتاب:(آخر لقاء/ محمد خير رمضان يوسف)/ ص191–192

وأسوة لمن أراد ذلك في الحياة إلى الممات.

وبالتالي، فإنّ ما خلّفه العملاق أنور الجندي من أعماله «القلمية» وحدها تفوق العد والإحصاء، لكني ذاكر منها ما أعرفه أو قرأته وانتفعت به، من ذلك: أعلام الإسلام / مَعْلَمة الإسلام/ عطاء الإسلام الحضاري/ أعلام وأصحاب أقلام/ مفاهيم العلوم الاجتماعية/ ...وغيرها مما لا يَحْضُرني.

على أني وجدتُ في كتابه ما قبل الأخير، بآخر صفحة منه، أسماء مجموعة من المؤلفات له وضعها الناشر لإعلام القراء بها، وهي كما جاءت: «للمؤلف(موسوعة التراجم): تضم المؤلفات الآتية: من أعلام الآداب والفكر- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم - الأعلام الأَلْف - الجباه العالية - روّاد الحرية في العالم العربي - رواد القومية العربيّة - أحمد زكي باشا- عبد العزيز جاويش - زكي مبارك - الإمام المراغي - الجيل في أعْلامه ».

لكن الذي يحزّ في نفسي، هو إهمال السادة الكتاب وأصحاب الأقلام، وكذا أجهزة الإعلام، التحدث عن هذه الشخصية العملاقة، ومآثره وكتاباته ومؤلفاته الماتِعة، فهو لم يكتب عنه د.محمد سعيد رمضان البوطي في آخر ما صدر له:(شخصيات استوقفتني)/ أو د.فتحي يكن في إصداره:(الموسوعة الحركية)، وقد تحدث وعرض فيها ل (69) شخصية هامة من المشرق والمغرب، وأنا أعد ذلك إهمالا تاما منه، ولا أيضا صاحب كتاب (الأعلام / للزركلي)، ولا دار القلم بدمشق التي أصدرت سلسلة جديدة في سبيل التعريف برجال العلم والفكر، وهي غير السلسلة الأولى، بعنوان:(علماء ومفكرُون معاصرون.. لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم)، ولا صاحب كتاب (إتمام الأعلام/ لأباظة والمالح)، ولا الدكتور العَوَّا: (شخصيات ومواقف عربية ومصرية).

وبالتالي، فجزى الله د.القاعود إفرادَه بترجمة حافلة موسعَة في كتاب، بل وقبل ذلك إدراجه ضمن أعلام آخرين في كتاب قبله بعنوان: (أعلام في الظلّ).

ولله الأَمْر مِن قَبْل ومِنْ بعْد .

توفي إلى رحمة الله يوم الثلاثاء في 15 ذي القعْدَة سنة 1422هـ .

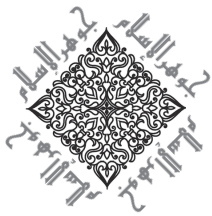

هذه حيثيات ارتباط القضاء الشرعي باللغة العربية

ماذا تعني لك اللغة العربية ؟

بقلم الأستاذ القاضي عبد اللّه آدم عبد الله

القاضي بالمحكمة الشرعية الاستئنافية أبوجا ـ نيجيريا

إن ارتباط اللغة العربية بالشريعة الإسلامية والقضاء الشرعى إرتباط وثيق لأن المصدرين الأساسيين لاستنباط الأحكام الشرعية للقضاء الإسلامى هما الكتاب والسنة ولا يفهم كنه ما يدعوان إليه إلا بالتعمق في الدراسات التأصيلية لأسرار اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وبلاغة بأقسامها الثلاثة لذلك يقول شاعر:

حفـظ اللغـات علينـا فـرض كفـرض الصـلاة
وليـس يحفـظ ديـن إلا بحفـظ اللغـات

فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية؛ قال تعالى فى محكم تنزيله : : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ (يوسف)

وبما أن اللغة العربية حظيت بمنزلة مرموقة في القرآن الكريم، فإن منزلتها في السنة النبوية، لا تقل عن تلك بحال. لذلك روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودِّع فقال: أنا محمد النبي الأمي (قاله ثلاث مرات) ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه.

فعلى نور هذه الحقيقة الغراء، فقد ثبت عند السادة الفقهاء أنهم كانوا يكترثون بالعربية اكتراثا بالغا فعلى سبيل المثال كان زوج ابنة الإمام الشافعي يقول : أقام الإمام

الشافعي علم العربية وأيام الناس عشرين سنة، فقلنا له في هذا، فقال: ما أردت بهذا إلا استعانة للفقه أي ظل عشرين سنة يتبحر في اللغة وعلومها أي قضى عشرين سنة للوقوف على الدراسات التأصيلية للغة العربية وأسرارها ليفقه ويفقهم المصدرين الأساسيين: الكتاب والسنة.

وقد روي عنه أنه كان يقول: «أصحاب العربية جن الإنس، يبصرون ما لم يبصر غيره».

في الوقت الذي كان علماء الدين يقولون: «من تكلم فى الفقه بغير لغة تكلم بلسان قصير».

وفي الختام، فإن خلاصة القول عن ارتباط اللغة العربية بالشريعة الإسلامية بما فيها مجال القضاء الشرعي تؤكد ان اللغة العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ لأنها وعاؤه ومستودع ثقافته.

العامّي والتقيّد بالمذاهب الفقهية المعتبرة عند شيخ الإسلام ابن عاشور رحمه الله تعالى

قال شيخ الإسلام محمد الطاهر بن عاشور: "يجب على العامّي التزام تقليد مذهب معيّن لئلاّ يكون في عماية وحيرة، وليجري في أعماله على طريقة واحدة فلا يكون متابعاً لشهوته؛ لأنّ الدّين جاء بإبطال التشهّي والهوى، كما بيّنه أبو إسحاق الشّاطبي، وقد جرى عمل المسلمين منذ قرون كثيرة على أنّ المقلّد يلتزم اتّباع مذهب معيّن يجري في أعماله على مقتضاه وينسب إليه.

فمن التزم مذهباً من هذه المذاهب فقد التزمه لدين الله به، ولذلك لا يجوز له الخروج عنه؛ لأنّ الخروج عنه من التلاعب في الدّين".

(المرجع: الشيخ العلاّمة محمّد الطّاهر ابن عاشور، المفتي الأشهر: ص236)

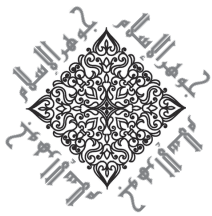

رسالة عاجلة إلى السيد المسيح عليه السلام

الأستاذ إبراهيم الربو - ليبيا

تصادف وجودي في إحدى العواصم الأوروبية مع احتفالات عيد ميلاد المسيح عليه السلام ... حيث يسود اللغط والضجيج، وتعم البلاد أنواع من العربدة المقرونة بمظاهر السكر والمجون، وغيرها من المنكرات التي تُرتكب باسم المسيح وفي ذكرى مولده ... لقد هالني ما رأيت، فأرسلت بهذه الرسالة العاجلة إلى السيد المسيح ... وهي الرسالة التي نشرتها مجلة (الإسلام وطن) الصادرة بالقاهرة ... وهذا نص الرسالة ..!!

رسالة عاجلة إلى السيد المسيح ....!!!!

هل لي أن أكتب إليك يا نبي الله ..؟ وهل لي أن أبوح بما رأيت، فأكشف أمامك الأسرار، وأبوح لك بالمواجع ..؟ أريد أن أهمس في أذنك بالآلام ... وأضع على لسانك مرارة الواقع ... وأنا أعيش أياماً قيل لي أنها تحمل ذكرى مولدك ... ذلك اليوم المشهود الذي ألجأ فيه المخاض أمك مريم بنت عمران إلى جذع النخلة لتأتيَ بك إلى الدنيا معجزةً للناس ثم نبياً من رب العالمين ....!! أغْمض عينيّ يا نبي الله فأراك ماشيا في دروب الناصرة .. واعظاً في بيت لحم .. مُصليا في أورشليم .. ناصحاً أتباعك :- (من ضربك على خدك الأيمن فأدِرْ له الأيسر) .. مبشّراً بنبي من بعدك اسمه أحمد يُكْملُ الرسالة التي ابتدأت، ويحمل الأمانة التي حملت ..... لمْ يرُق لليهود ما قلتَ .. ولم يُعْجبهم ما فعلت، فتآمر كبراؤهم، واتفق أمراؤهم على وضع نهاية لحياتك .. فقرروا صلبك، علّهم بذلك يضعوا حداً لانتشار الخير والفضيلة على يديك، ويفتحوا أمام الناس سُبل الشر وثنايا الفساد .. لكن الله - الذي أنطقك في المهد - أكبر من الكبراء، وأسمى من الأمراء فقد حفِظك بما حفظ به الأنبياء ... فلم يصلبوك، ولم يقتلوك، بل رفعك الله إليه لتُبعَث يوم القيامة مع الأنبياء والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً ....

نعم يا نبيّ الله هاأنذا ومعي الملايين نعيش هذه الأيام ذكرى مولدك كما تعارف عليه الناس، وهي مناسبة يعُم فيها اللغط ويرتفع الضجيج، فتعلو الأصوات إلا صوتك .. وتُرفع الصور إلا صورتك .. ويسود الناس هرجٌ ومرج نسمع خلاله كل الكلام إلا كلماتك ...

ترى الناس يعربدون ويملأون الفضاء صياحا، فتحسبهم سكارى وهم فعلا كذلك .. وكأنّ يوم مولدك صار يوماً للعبث والمجون، ومناسبة للّهو والعربدة ... فهل علِمتَ يا نبيّ الله...؟؟؟!!!

باسمك يا نبيّ الله عيسى بن مريم .. وفي ذكرى مولدك تغص الحانات بروّادها، والملاهي بزبائنها، ودور القمار والفاحشة بمرتاديها .... تتوالد صور الآثام في الشوارع والميادين بعضها من بعض، وسط صياح المخمورين وضجيج المعربدين...!! كل ذلك يانبيّ الله يتم احتفالاً بيوم مولدك ... فهل علمتَ يا سيّدي يا نبيّ الله ...؟؟؟

معذرةً يا نبيّ الله إنْ أخبرتك بما تضيق به نفسي،ونفوس الأتقياء من أتباعك .. ويزرع المرارة في قلبي وقلوب المؤمنين برسالتك .. فأنت يا نبيّ الله جزءٌ أصيل في عقيدتي .. وركن أساس في إيماني، فكيف أخفي عليك ما أرى وأسمع ..؟ وكيف لي أن أتكتم على ما يقلقني، ويقلق كل محبيك في مشارق الأرض ومغاربها، وهم يرون الآثام والفواحش تُرتكَب باسمك وفي ذكرى مولدك ...؟؟؟

هنا يا نبيّ الله يموت الآلاف من أتباعك ومحبيك جوعا ومرضا وجهلا .. فقرا وقهرا .. وهناك يحرق الذين يدّعون الانتساب إليك ملايين الدولارات في إضاءة الميادين، ولألأة الشوارع، وتزيين الطرقات .. ولو انتهى الأمر عند هذا الحد - رغم ما فيه من تبذير، وما يحيط به من مبالغات - لما كان للاستغراب مكان، ولا للتعجب موقع .... لكن ذكرى مولدك تحولت موسماً للعبث والمجون، والسكْر والعربدة .. موسما تُقتَل فيه الفضائل التي جئتَ بها .. والمُثُل التي أشعْتها بين حواريك ... موسما يحضر فيه الجميع إلا أنت ... أنت الغائب الوحيد وسط تلك الجموع التي هجرت الكنائس وسكينتها، والصوامع ودفئها، والأدْيرة وصوفيتها، لتملأ الشوارع والميادين عبثا ومجونا احتفاءً بذكرى مولدك ....!!!

يا نبيّ الله ... أيها المسيح عيسى بن مريم، إن كانت المسيحية هي الانتساب إليك، والإيمان برسالتك فأنا مسيحيّ بكل المقاييس، وكل مسلم كذلك ... وإن كانت المسيحية هي بعض ما أرى ويرى الناس من حولي، عدوانا واحتلالا ومساندة للبغي والعدوان، وأكل أموال الشعوب بالباطل، وقتل النفس التي حرّم الله، فأنت يا نبيّ الله - ولن يُخالجني في ذلك شك - ستكون أول المحتجين على أن يُزج باسمك في مثل تلك المظالم ... أليس كذلك يا نبيّ الله. .....؟؟؟

ونحن باسم كل المؤمنين بك، السائرين على خُطى حواريك نعبّر عمّا ينتابنا من قلق جرّاء ذلك التيار الذي يسعى لمسيحية لا أثر فيها للمسيح ...وحياة لا مكان فيها لما حفِلتْ به حياتك، وتعطرتْ بها سيرتك .... وعزاؤنا أنّ هناك من القسيسين والرهبان من مازال يعمل – رغم ضعف القوة، وقلّة الحيلة – جاهداً بالعودة بالمسيحية إليك، أو العودة بك إلى المسيحية، فإن نجحوا فذلك مُرادنا ومرادُهم .. وإن كان غير ذلك، فإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء... !!! معذرةً يا نبي الله إنْ أطلْت الحديث، وتجرأْتُ على مُخاطبتك ... وسلامٌ عليك يوم وُلدتَ ويوم تموت ويوم تُبْعث حيا .....

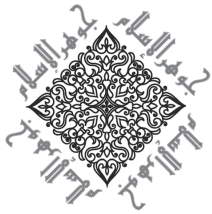

مفاهيم إسلامية

حاجة المسلمين اليوم ماسة إلى تجديد إسلامهم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي ـ رحمه الله

إن الدارس لأوضاع المسلمين والمتتبع لمراحل تاريخهم المختلفة والمتأمل في أوضاعهم الاجتماعية التي يعيشون عليها في اغلب بقاع الإسلام ليأخذه الدهش والاستغراب مما عاناه ويعانيه المسلمون من نكبات موجعة ومن أزمات خانقة يتوجع منها الصديق ويرثي لها العدو.

وإذا ما تأملنا الأسباب الرئيسية التي نجم عنها كل ما ذكرنا وجدناها لا تعدو سببا واحدا أصليا هو التمزق الذي انتاب جسم الأمة الإسلامية فجعلها أمما بعد أن كانت أمة واحدة وجعلها شعوبا بعد إن كانت شعبا واحدا وهذه العلة يكاد يجمع عليها كل الناس، غير أن تشخيص الداء شيء وتحديد الدواء الناجع له شيء آخر.

فلقد نادى المصلحون والشعراء والعلماء وقادة الفكر عموما بوجوب القضاء على أسباب التفرق وعقدوا من اجل ذلك الندوات الضيقة والواسعة والمؤتمرات الكبيرة والصغيرة في نطاق الشعوب وفي نطاق الحكومات في مستواها العادي وفي مستوى القمم بيد أن النتائج كانت دائما هزيلة وتافهة بل كثيرا ما كانت خيبة أمل مريرة.

ان الذي نؤمن به الإيمان الجازم أن الدعوة إلى الاتحاد كانت دائما وأبدا سابقة لأوانها لان ذلك الاتحاد الذي نريده وننادي به يجب أن يكون نتيجة طبيعية وحتمية لاتحاد الأفراد الذين تتكون منهم الأمم مع عقيدتهم المتحدة وتعاليمهم المشتركة التي تجري من كل فرد مجرى الدم من العروق حتى إذا ما تحقق انسجام المسلم مع إسلامه وتفاعله مع إيمانه واندفع اندفاعا لا شعوريا إلى حب أخيه والى تشريكه معه في نعيمه والى الدفاع عنه بالنفس والنفيس وإذا ما هدده عدو أو خطر حصل الاتحاد المنشود، ولقد تحقق هذا النوع من الانسجام الكامل المطلق في صدر الإسلام بين قبائل كانت تتناحر وتتقاتل وبين أمم كانت تتنافر وتتعادى.

وما أخوة الأوس والخزرج والأنصار والمهاجرين والفرس والعرب وغير هذه الأجناس والقبائل إلا اكبر برهان على أن الروح الإسلامية إذا تغلغلت في القلوب وتشربتها الأنفس ولانت لتطبيقها الجوارح تحقق العسير وتجعل المسلمين كما قال فيهم سيد الكائنات ﷺ **جسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.**

وانه لمن العجيب الغريب أن نرى الأخوة الصادقة بما فيها من إيثار ودفاع تحققها مذاهب مادية كالماركسية مثلا ومذاهب أخرى ليست روحية ولا مادية كالماسونية ولا يحققها الإسلام الذي يدعيه غالب المسلمين اليوم في حين انه ثري بالمعاني الروحية والمادية وفي حين انه سلام ومسالمة ومحبة.

فمتى يا ترى يلتفت المسلمون إلى هذه الحقيقة الضائعة والتي هي اقرب إلى كل واحد من ظله والصق به من ثيابه.

إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يمثلون اكبر قوة في العالم ويحتلون أخصب ارض من أراضيه ويتمتعون بأكبر طاقات الدفع التي يحتاج إليها العالم اجمع، وسوف تبقى تلك الطاقات مهدورة ومبددة لا يمكنهم الله من مفاتيحها وفرص استغلالها والانتفاع بها ماداموا بعيدين عن بعضهم بعيدين من دينهم متشاكسين متباغضين وعيهم ميت وباسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلبوهم شتى **(يخربون بيوتهم بأيديهم)** في حين أنهم يملكون مشاعل الهدى ومفاتيح السماوات والأرض وقد أودع الله فيهم من الإمكانيات العقلية والمادية ما يستطيعون به تفجير ينابيع الخير وتبديل وجه التاريخ ولا يكلفهم تحقيق ذلك من التضحيات ما يثقل كواهلهم ويرهق جهودهم لأنه يتطلب الإخلاص فقط، الإخلاص لله والإخلاص لدينهم ولمثلهم الخالدة تلك المثل التي ينتسبون إليها اليوم زورا ويتغنون بها كذبا.

فما ضرهم لو انسجموا معها انسجاما حقيقيا وجربوا حظهم معها كماهم قد جربوا ويجربون حظوظهم مع أشياء أخرى صلح البعض منها ولم يصلح الكثير ؟!

إن المسلمين اليوم لفي اشد الحاجة إلى دعوة صادقة وملحة تدعوهم إلى تجديد إسلامهم والى العودة به إلى أصالته التي أثمرت بالأمس وبدلت وجه العالم، لقد اخذ الأولون إسلامهم عن اقتناع ونظر وتأمل وجد فنفذ إلى صميم أفئدتهم وسيطر على جميع شؤون حياتهم الفردية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية، فلا عجب والحالة تلك أن يكون المسلم عنوانا عن الإسلام والإسلام عنوانا عن المسلم ولا عجب أن يطأطأ العالم رأسه إجلالا للإسلام والمسلمين، أما اليوم وقد أصبح التقارب بين مسلم وإسلام في الحروف والاشتقاق فقط أما في المعاني والحقائق فبين الكلمتين التباين المطلق فيكف ينتفع بالكنز من لم يملك مفاتيحه (وفاقد الشيء لا يعطيه) وما أشبه حالنا بحال أولئك الأعراب الذين قال الله فيهم ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ والأمر لله من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

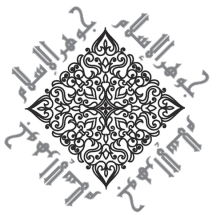

رسالة من رسائل في التصوف لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء
محمد ابن عبّاد الرندي النفزي ثم الفاسي (733ـ792)

رسالة تضمن التوصية لرجل أصابه ضيق مِمّا هو عليه من أحوال غير مرضية عنده ويريد الانتقال عنها

بقلم الأستاذ عبد الهادي هنركامب
الأستاذ بجامعة جورجيا – أمريكا

الحمد لله تقدر نعمته – أمّا بعد؛ فقد وصلني كتابكم وأنتم تصفون فيه أحوالكم ونعم ما فعلتم. وحاصل ما ذكرتموه أنّ ما اتّصفتم بـه من الصفات واستعملتم فيه مِن الحالات هنّ مكروهة إليكم غير محبوبة، لا ترضونها للتقرّب بها إلى ربّكم. وإنّ ما توهّمتموه أو تخّيلتموه بعقولكم مِن أحوالٍ لستم عليها هي محبوبة إليكم، غير مكروهة، تتمنّون أنّ لو كنتم عليها ووجدتم السبيل إليها.

وقد أتبعتم يا أخي أنفسكم وأسأتم الأدب في معاملاتكم وكددتم أفكاركم فيمَا تذهب فيه أوقاتكم مجانًا بلا فائدة. بل أضرّ ذلك بكم، إذ اشتغلتم بما هو حجاب عن مقاصد الأولياء العارفين، وفيه التبعّد مِن ربّ العالمين. وأنتم عندي معذورون في ذلك، إذ سبقكم إلى ذلك ناسٌ كثيرون ممن تقدّم وتأخّر – ولعلّكم لا تجدون إلّا ذلك. وسبب وقوعهم في ذلك سبقية نظرهم إلى أنّ لهم حولًا وقوةً فيمَا يتصرّفون فيه مِن الحركات والسكنات، وشدّة غفلتهم عن الأوّل المدبّر والمصرّف المقتدر، حتّى أدّاهم ذلك إلى أغاليط وجهالات حادوا بها عن الصراط المستقيم وهم لا يشعرون.

ثمّ هُم في ذلك فِرَقٌ. أمّا مَن كان منهم مِن أهل المعاملات الظاهرة مِن صلاة أو صيام أو حجّ أو عمرة أو ذكر أو صدقة أو غزو أو تعلّم علم أو قضاء حاجة مسلم أو غير

ذلك مِن أفعال البرّ القاصرة أو المتعديّة، فـمَن استُـعمِلَ منـهم في شيء مِن ذلك ولـم يجد له حلاوة ولم يعرف خيريّته عند ربّه، حسبما ذكرتـموه عن أنفسكم، فإنّه يقع له مِن الأحوال الرديّة ما وقع لكم. ومنـهم مَن يرتضي حاله ولا يحبّ زواله ولكنّه إذا فتر عنه أو اعتراه كسل أو ملل أو حيل بينه وبينه بسبب مِن الأسباب، يضيق ذرعه ويتشوّش عليه وقته وتضطرب أموره ويرى أنّه قد طرد وأبعد. ومنـهم من لا يكترث بذلك ولا يبالي به ويرى أنّه قادر على العودة إليه فيما يستقبل. ومنـهم مَن يعيّن لذلك زمانًا أو مكانًا يفعله فيه – كأنّ الأمر في يده – فإذا جاء ذلك الوقت أو حصل في ذلك المكان، صادفه وقد اعتاد الغفلة والفتور، فطالب نفسه بإنجاز ما وعدتْ والوفاء بما شرطتْ، فلم تَفِ بذلك ولم تنجز موعده، بل سوّفتْه إلى وقت آخَر – وهكذا يتمادى به الأمر.

وكذلك مَن لم يكن أخذ في شيء مِن العبادات والـمعاملات، ولكنّه إذا قرع سـمعه شيءٌ مِن حكايات السلف وما كانوا عليه مِن الأحوال السنيّة والأعمال المرضيّة، يسبق نظره إلى أنّ له قوّة على ذلك لو أخذ فيه. ثم يقول: «سآخُذُ فيه إذا تفرّغتُ مِن شغل كذا وإذا كنتُ على حال كذا.» ويقطع عمره بالتسويف كما ذكرناه. ومنـهم مَن يعتقد أنّه مُخلِّط لا يرى أنّه على شيء: إمّا أنْ يكون حقيقة – أعني أنْ يكون كذلك في نفس الأمر – أو مجازًا – وهو أنْ يكون ذلك في اعتقاده فقط. فإذا سـمع شيئًا من ذلك أو رأى مَنِ اتّصف به، يقول: «مِثلي لا يُـعطى ذلك ولا يَطمَعُ أنْ يُدرِكَه ولا يقدرُ عليه.» فتَسخُو نفسُه بتركه ولا يُـحدّث نفسَه بالأخذ فيه. وجميع هذه الجهالات رأيناها في أنفسنا وشاهدناها في غيرنا. وسبب ذلك غلبة ما ذكرناه على قلوبنا.

وأمّا العارفون والـمحقّقون مِن أهل المعاملات الباطنة فقد سلّموا مِن هذه الجهالات. وذلك أنّـهم عملوا على تصحيح التوحيد، أوّل مرّة، بأن التزموه عقدًا. ثـمّ ابتـهلوا إلى ربّـهم بألسنتـهم وقلوبـهم في تحقيقه لهم حالًا، وحرصوا على أن يستصحبوه في أحوالهم جهد استطاعتـهم. فلمّا علم ذلك منهم، رحمهم بأن جعلهم لا يرون لأنفسهم حولًا ولا قوّةً فيما يأتون أو يذرون؛ بل تَوَلّى حفظهم وكلاءتـهم وتَكَفَّلَ بـمصالحهم وكفايتـهم لأنّـهم عبيده الصالحون لخدمته. وقد قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36] وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]. وقال تعالى فيما يُـروى عنه: «أنا عند ظنّ عبدي بي.»[1] فسهّلَ عليـهم الصعب، ويسّرَ عليـهم العسير، وأربـحهم وقتـهم النفيس الخطير، وأحلّهم في نعيم ومُلك كبير. فلا يتحرّكون ولا يسكنون إلّا به، ولا يعتـمدون

(1) رواه البخاري في **الصحيح** من حديث أبي هريرة، انظر: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ وباب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾. وأيضًا رواه مسلم، انظر: كتاب الذكر وكتاب التوبة.

إلّا عليه، ولا يرفعون هـمّتـهم إلّا إليه لحسن ظنّـهم به. وهذه هي الخاصيّة الّتي سبقت بـها هذه الأمّة سائر الأمم.

وفي بعض الأحاديث النبويّة أنّ الله تعالى أوحى إلى عيسى – عليه السلام: «إنّي باعث بعدك أمّة إنْ أصابـهم ما يحبّون حمدوا وشكروا، وإنْ أصابـهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم.» فقال عيسى – عليه السلام: «يا ربّ، وكيف ذلك ولا علم ولا حلم؟» فقال: «أعطيـهم مِن علمي وحلمي.»[1] وبـهذه الخاصية أيضًا اتّصفت هذه الـملّة الـمحمّديّة بالسماحة والسهولة. وهي وإن كانت سهلة المتناول قريبة المرام، فلا ينكر أيضًا ما فيه من التكاليف الشاقّة. والتسهيل العامّ لا يكون إلّا بـهذه المشاهدة الّتي ذكرناها. قال الله – عزّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: 77–78] وملّته إنـمَا هي الإسلام والتوحيد. وقال نبيّنا – صلّى الله عليه وسلّم: «بعثت بالحنيفية السمحة»[2] – وهي ملّة إبراهيم عليه السلام. وقال بعض العارفين[3] في معنى قوله – صلّى الله عليه وسلمّ – «يسّروا ولا تعسّروا»[4] معناه: «دُلّوهم على الله ولا تَدُلّوهم على غيره. فإنّ مَن دلّك على الدنيا فقد غشّك، ومَن دلّك على الأعمال فقد أتعبك، ومَن دلّك على الله فقد نصحك.»[5]

والمقصود مِن هذا أن تعلموا أنّ هذه الطائفة المذكورة يقلّ الغلط فيـهم مِن هذا الوجه الذي ذكرناه، لغيبتـهم عن شهود أنفسهم ورؤية حولهم وقوّتـهم. ولولا ذلك لم يكن لهم حال ولا مقال. فإذا وقع ذلك منـهم نادرًا، تُدُورِكُوا بالحفظ والكلاءة، فثبتوا في مقاماتـهم ووقفوا على مراكزهم عنايةً مِن الله بـهم. وأمّا أهل الكذب والدعوى فلا كلام معهم.

وقد علمتم بـهذا مِن أين وقع الغلط على هذه الطوائف وبـماذا سلم مَن سلم –

---

(1) أخرجه الحاكم من حديث أبي درداء ثـمّ قال: «هذا حديث صـحيح على شرط البخاري ولم يخرّجاه.» (**المستدرك على الصحيحين**، كتاب الجنائز.) رواه أيضًا البيهقي، انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **الجامع لشعب الإيمان**، تحقيق مختار أحمد الندوي (الرياض: مكتبة الرشد، 2003)، ج 12، ص 336–337.

(2) رواه الإمام أحمد من حديث أبي أمامة الباهلي. انظر: أحمد بن حنبل، **المسند**، ج 16، تحقيق حمزة أحمد الزين (القاهرة: دار الحديث، 1995)، 361–362.

(3) وهو سيّدي أبو العبّاس الـمرسي – رضي الله عنه.

(4) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك في كتاب العلم وكتاب الأدب ومسلم، أيضاً من حديث أنس، في كتاب الجهاد، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(5) ابن عطاء الله السكندري، **لطائف المنن**، تحقيق: عبد الحليم محمود (القاهرة: دار المعافر، 2006)، ص 140؛ انظر **التنبيه في شرح حكم ابن عطاء الله** لابن عبّاد الرندي، ذيل حكمة: «لا تَصحَبْ مَن لا يُـنهِضُك حالُه ولا يَدُلُّك على اللهِ مَقالُه» لمثل هذا المعنى.

وما ذاك إلّا بـهذه الحالة العظيـمة الّتي اختصّ بـها عباد الله وبـها صاروا أولياء الله. فإذا علمتم موقعها مِن الدين وأنـها الوسيلة إلى القرب مِن ربّ العالمين، وتشوّفتم إلى أن تترقّوا إلى هذا المقام الكريم وتنتظموا في سلك مَن آتاه الله بـهذا الملك العظيم، فستعلمون مـمّا قـرّرناه أنّه لا سبيل لكم إليـها إلّا عليـها، ولا وسيلة لكـم إليـها إلّا بـها، كـمَا قال بعضهم: «عرفتُ ربّي بربّي[1] ولولا ربّي مـا عرفت ربّي.»[2] ويحكى أنّه سئل عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – وقيل له: «أعرفتَ الله بـمحمّد أم عرفتَ مـحمّدًا بالله؟ فقال: لو عرفتُ الله بـمحمّد ما عبدتُه ولكان محمّد أوثق في نفسي مِن الله. ولكنّ الله عرّفني نفسه بنفسه.»[3] فالآن إذ ظهر لكم اتّحاد الـمتوسّل به والمتوسّل إليه، على وجه لا تفهم كيفيّته العقول، ولم تروا في ذلك تباينًا ولا تغايرًا، فقد ظفرتم بحالة هي غاية الطالبين ونـهاية رغبة الراغبين؛ إذ لا يمكن التوسّل إلّا بموجود حاضر قريب، فإذا كان المطلوب موجودًا عندكم وحاضرًا معكم وقريبًا منكم، فـمَاذا تطلبون مِن بعده ولِمَاذا تتوسّلون به سواه؟ وما مثلكم في ذلك إلّا كمثل رجل بيده دُرّة خطيرة لا يعرف لها قدرًا، بل يحسبـها في عداد الأحـجار التي يعرفها – بل لا شعور له بـها – وهو يشكو الضرّ والفقر ويتكفّف للناس. فبينما هو كذلك إذ انكشف له حقيقة أمرها، وأنّه متـمكن مِن أن ينال بـها درجة الملك. فلا تسئل عمّا هو فيه من الغبطة والسرور والنعمة والحبور. وقد قالوا: «ليس العجب مِن السيّارة حيث طلبوا الماء فوجدوا يوسف؛[4] وإنّـمَا العجب مِن مذنب طلب المغفرة فوجد الله.» قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110].

وقد قرّبت لكـم العبارة عن هذا الأمر لعلكم تفهمون، وإلّا فهو ألطف مِن أن تضبطه عبارة أو تحمله إشارة. ولكلّ شيء سبب قدّر الله سببيته مِن غير حول مِن العبد ولا قوّة؛ فقد تكون معرفتكم لي واعتقادكم أنّي أُحسِن الإرشاد إلى ما طلبتـموه وكتبتم إليّ بما كتبتم به وجوابي لكم على ذلك أسبابًا في حصول مطلوبكم مِن غير حول منّا ومنكم ولا قوّة. وسترون بـهذا النظر أحوالكم كلّها جارية هذا المجرى.

---

(1) سقط «بربّي» في طبعة نويا فأثبتناه من مخطوطة الإسكوريال – 740.

(2) نسبه القشيري إلى ذي النون المصري. انظر: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، **الرسالة القشيرية**، تحقيق أنس محمّد عنان الشرفاوي (بيروت: دار المنهاج، 2017)، 643.

(3) ورد هذا القول منسوبًا إلى سيّدنا عليّ – كـرّم الله وجهه – في مصادر مختلفة وأقربها إلى ما ذكره ابن عبّاد كانت عند أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، (فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية)، 1981، ج 9، ص 25، وكان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي أحد رواته.

(4) إشارة إلى سورة يوسف آية 19.

أَبَى الله أنْ يرزق عبده المؤمن إلّا مِن حيث لا يعلم. ففيما العناء والتعب والكدّ والطلب؟ وعلى ما الفرح والتأسّف والندامة والتلف؟ ﴿دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الصافات: 86 87-]. أما علمتم أنّ في الله عوضًا مِن كلّ فائت وخلفًا مِن كلّ ذاهب؟ بل مَن وجد الله فما فقد شيئًا ومَن فقده فما وجد شيئًا. فهذه هي القاعدة التي بنى عليـها أمورهم العارفون المحقّقون. فكلّ ما يعتريكم مِن الوساوس والأفكار، وما يحجبكم عن نيل المراد وقضاء الأوطار، فإنّـمَا ذلك لِـمَا غاب عنكم مِن هذا التحقيق. فإذا فتح الله عليكم في فهم ما ذكرناه وأخذتم به أنفسكم أن تكونوا عليه في مواردكم ومصادركم، كانت عندكم عبادات مسرمدة وقربات مؤبّدة لا يتخلّلها فتور ولا ملل، مِن غير تعب منكم ولا نصب. وهذه هي الغنيـمة الباردة والتجارة الرابحة والمزيد الّذي أوجبه الشكر الّذي أنعم به عليكم مِن رؤيتكم الأشياء بالله ومِن الله. فطوبى لكم إذ ذاك وحسن مآب.

فتلقّوا يا أخي ما قلناه لكـم بحسن القبول، وقدّموه على كلّ معقول ومنقول، واعلموا أنّ العقل لا يدركه والنقل لا يصرّح به، بل هو مِن العلوم اللدنـيّة الّتي أودعها الله في غيابات القلوب. وقد روي أنّ في بعض الكتب المنزّلة على بعض أنبياء بني إسرائيل: «لا تقولوا العلم في السماء مَن ينزل به، ولا في الأرض مَن يصعد به، ولا في البحر مَن يعبر به. العلم مجعول في صدوركم موضوع في قلوبكم. فتأدّبوا بين يديّ بآداب الروحانيين وتخلّقوا بأخلاق النبيين الربّانيين أُظهِرِ العلم مِن قلوبكم على ألسنتكم حتّى يعمّكم ويغمركم.»[1] فهذا ما أردنا أنْ نذكره لكـم بين يدي التكلّم على أحوالكم، ليكون أصلًا ثابتًا يُـرجَع إليه وأساسًا يُـبنى عليه.

(البقية في العدد القادم)

❁❁❁

ورأينا من المناسب هنا أن نضيف إلى هذه الرسالة من **الرسائل الصغرى** حكمةً من **حكم ابن عطاء الله الأسكندري** – رحمه الله – مع شرح ابن عبّاد الرندي من **كتاب التنبيه** لمناسبة هذه الحكمة مع مواضيع العامّة في الرسالة.

(1) نسبه سيّدي أبو العبّاس المرسي إلى سيّدنا عيسى – عليه السلام. (ابن عطاء الله، **لطائف المنن**، 172.) وقد جاء في **قوت القلوب** بلا نسبة متعين. انظر: أبو طالب المكي، **قوت القلوب في معاملة المحبوب**، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2016)، ج 1، ص 238. ويوجد كلام يضاهيه في **إنجيل توما** وهو أحد نصوص نجع حمادي وكان غير معترف به كنسيًّا. انظر:

James M. Robinson (ed.), *The Nag Hammadi Library in English* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1990), 126.

وبالله التوفيق. وقال – رضي الله عنه:

17 **ما تَـرَكَ مِنَ الـجَهلِ شَيئًا مَن أرادَ أن يَحدُثَ في الوَقتِ غير ما أظهَرَه اللهُ فيه.**

إذا أقامَ اللهُ تعالى العَبدَ في حالٍ مِنَ الأحوالِ الّتي لا يَذُمُّها الشَرعُ، فَلْيَلتَزِمْ حُسنَ الأَدَبِ في اختيارِ بَقائِه عليها ورضاه بها؛ وَلْيُراقِبِ اللهَ تعالى في مُراعاةِ آدابِـها؛ وَلْيُوافِقْ مُرادَ اللهِ تعالى في ذلك، حتّى يَكُونَ هو الّذي يَنقُلُه عنها. قال أبو عُثمانَ – رضي الله عنه: «مُنذُ أربعينَ سنةً، ما أقامَني اللهُ في حالٍ فكَرِهتُه؛ ولا نَقَلَني إلى غيرِه فسَخِطتُه.» وقد تَقَدَّمتْ حكايةُ المؤلّفِ – رحمه الله – مع شَيخِه، أبي العبّاسِ الـمُرسي، حَينَ عَزَمَ على التَجريدِ وتَركِ ما كان عليه مِنَ الاِشتِغالِ بالعِلمِ الظاهِرِ، وما أجابَـه به الشَيخُ – رضي الله عنه. وهذا مِن نَتائجِ العِلمِ باللهِ تعالى ومَعرفةِ رُبُوبيّتِه.

فإن تَسَخَّطَ تلك الحالَ وَتَشَوَّفَ إلى الاِنتقالِ عنها بنفسِه وأرادَ أن يحدثَ غَيرَ ما أظهَرَه اللهُ تعالى، فقد بَلَغَ غايةَ الجَهلِ بِرَبِّـه وأساءَ الأدبَ في حَضرةِ مَولاه – عزَّ وجلَّ. وهذا مِن مُعارَضةِ حُكمِ الوقتِ الّذي تُشيرُ إليه الصوفيّةُ – وهو عندهم مِن أعظمِ ذُنوبِ الخاصّةِ. فالواجِبُ على العبدِ، الاِستِسلامُ لـحُكمِ اللهِ تعالى في ذلك الوَقتِ – فهو أدبُ العبوديّةِ ومُقتضى العِلمِ باللهِ تعالى. وهذا، هو أحدُ معاني لَفظِ «الوقت» في اصطِلاحِـهم.

قال الإمامُ أبو القاسمِ القُشيري – رضي الله عنه: «وقد يُريدونَ بالوقتِ، ما يُصادِمُهم مِن تصريفِ الحقِّ لهم، دونَ ما يَـختارونَ لأنفسِهم. ويقولونَ: ‹فلانٌ بِحُكمِ الوقتِ›، أي: إنّه مُستَسلِـمٌ لما يَبدُو مِنَ الغيبِ، مِن غيرِ اختيارٍ. وهذا فيما ليس للهِ – عزّ وجلّ – عليهم فيه أمرٌ أو اقتضاءٌ بِـحَقِّ شَرعٍ، إذ التَضييعُ لما أُمِرْتَ به وإحالةُ الأمرِ فيه على التَقديرِ وتَركُ الـمُبالاةِ بما يَحصُلُ منكَ مِن التَقصيرِ، خُرُوجٌ عنِ الدينِ. ومِن كلامِهم: ‹الوقتُ سَيفٌ›؛ أي: كما أنَّ السَيفَ قاطعٌ، فالوقتُ، بما يَـقضيه الحقُّ ويُـجريه، غالبٌ. وقيل: ‹السَيفُ لَـيِّنٌ مَسُّه، قاطعٌ حَدُّه. فـمَن لاينَه، سَلِمَ. ومَن خاشَنَه، اصطُلِمَ . كذلك، الوقتُ، مَن استَسلَمَ لِحُكمِه، نَجا؛ ومَن عارَضَه بتَركِ الرضا، انتكَسَ وتَـرَدّى.› وأنشدوا:

وكَالسَيفِ إن لاَيـنتَهُ لانَ مَسُّهُ وحَدّاهُ إن خاشَنتَهُ خَشِـنانِ

ومَن ساعَدَه الوقتُ، فالوقتُ له وقتٌ. ومَن ناكَدَه الوقتُ، فالوقتُ عليه مَقتٌ.» هذا كلامُ الإمامِ أبي القاسم وهو موافقٌ لما ذَكَـرَه صاحبُ الكتابِ – واللهُ أعلمُ.[1]

(1) محمد بن عبّاد الرندي، **كتاب التنبيه في شرح حكم ابن عطاء الله الأسكندراري**، الدراسة والتحقيق الدكتور آرش الأبوترابي الهمداني، لنيل الدكتورة من جامعة الجورجيا، 2023.

خطبة الجمعة

جوانب الاعتبار في حياة سيدنا عيسى وأمه السيدة مريم عليهما السلام

الحمد لله الذي أرسل رسله بالهُدى ودين الحقّ رسلا مبشرين ومنذرين، لا نفرّق بين احد من رسله نؤمن بهم ونصدّق بما جاؤوا به من عند الله ونصلّي عليهم وننزّههم من النقائص والرذائل، اصطفاهم الله من بين سائر خلقه.

ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، فرد صمد أحد لم يتّخذ صاحبة ولا ولدا ليس كمثله شيء لا اله إلا الله افضل كلمة قالها كل أنبياء الله.

ونشهد أن سيّدنا محمدا عبده ورسوله ختم الله به النبوة والرسالة فقال جلّ من قائل ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ونصلي ونسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة يتحقق بها الامتثال لأمره جلّ وعلا في كتابه العزيز مما ابتدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكته وختم الأمر بالمؤمنين فقال جلّ وعلا ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾

فاللهم صلّ على سيدنا محمد صلاة يتضاعف ثوابها وأجرها وتكون سببا لصلاح أعمالنا وغفران ذنوبنا وسيّآتنا وقبول دعائنا- صلاة دائمة متصلة ما دامت السماوات والأرض وما تعاقب الليل والنهار في كلّ آن وحين لا سيّما في هذا اليوم الاغرّ يوم الجمعة فقد ورد في الحديث الصحيح (**أكثروا الصلاة عليّ في يوم الجمعة**)

فاللهم صلّ صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنّا برحمتك يا أرحم الراحمين. وأوصيكم عباد الله المسلمين بما أوصي به نفسي واذكركم وأذكر نفسي بتقوى الله والتزوّد منها ليوم الوقوف بين يدي الله فإنها نعم الزّاد بل هي الزاد لأنّ ما سواها من مال وبنين لا ينفع في ذلك اليوم

الآت لا ريب فيه فتزوّدوا عباد الله بما ينفعكم وأكثروا من هذا الزّاد (وهاهي أيامه وأشهره المباركة تقترب أقلّ وتهلّ علينا أشهر الأنوار والبركات ومواسم الطاعات رجب وشعبان وبعدهما رمضان. فاللهم بلغنا رمضان سالمين معافين غير مبتلين.

وبعد، أيها المسلمون نخصص خطبة هذا الأسبوع مواكبة لما نشهده ونعيشه هذه الايام ويلاحظه الجميع من استعداد وحركية في الاسواق وفي الشوارع وفي المحلات التجارية وبيع المرطبات بمناسبة نهاية سنة ودخول أخرى مما نلطفه فنسميها السنة الإدارية وهي كذلك فيها تضبط كلّ شؤون الحياة المالية والاقتصادية والاجتماعية- وهي في ما وراء ذلك سنة مسيحية نسبة إلى سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، والتي درج أتباعه على إحيائها والاحتفال بها احتفالات واسعة أغلبها يتوجه صوب الاستجابة للأهواء والغرائز والشهوات مما هو مباح ومحرم في معتقداتهم- وهي معتقدات ليست من صميم ما جاء به سيدنا عيسى عليه السلام وليست أيضا من صميم حياة السيد المسيح عيسى وامه مريم العذراء.

وهذا الأمر ـ إحياء ذكرى ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام- لا غبار عليه ولا مانع منه إذا كان للتدبر والاعتبار بمسيرة حياته كما قصها القرآن في اكثر من سورة- ففي حياته عليه الصلاة والسلام مواعظ ودروس وعبر ما قصها علينا المولى في القرآن الكريم إلا لنتدبرها ونقف عندها، فسيدنا عيسى وأمه مريم عليهما السلام وكذلك من تبعوهما بصدق وإخلاص من الحواريين والرسل الذين أرسلهم سيدنا عيسى عليه السلام أوردها القرآن في صيغة مواعظ وعبر بان الحقّ واحد وان الخير واحد كما أن الباطل والضلال والكفر والطغيان والظلم واحد في كلّ زمان ومكان وأن الصراع بين الكفر والايمان والحق والباطل والخير والشر سنة من سنن الله في الكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وان الغلبة والخلود والبقاء هو للحق وللخير مهما طال الصراع وان ذلك من الله وعد لا يتخلف.

ففي هذا الجانب من الاعتبار وأخذ الدروس والاجلال والاحترام الذي يصل إلى درجة العقيدة الراسخة ويظل من اسسها في دين الإسلام جاء ذلك في كتاب الله العزيز وبيّن ذلك لنا معاشر المسلمين في قوله عليه الصلاة والسلام جوابا عن سؤال الامين جبريل عليه السلام **أخبرني عن الايمان؟ قال: الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله،** ورسل الله عليهم الصلاة والسلام بعضهم من ورد ذكرهم

في القرآن وصحيح السنّة لأنه إذا كان القرآن قد ظلّ وسيظلّ محفوظا بعهد من الله **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإن السنة دخلها كثير من الضعيف والموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ الذي يقول **(إن كذبا عليّ ليس ككذب على أحد من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار)** ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن الرواية عن اليهود والنصارى **(لا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم)** أي قد تصدّقوهم في ما هم يكذبون فيه وما أكثره مما حاشى لله تبارك وتعالى أن يأمر به أو يصدر عنه في حقّه جلّ وعلا وفي حقّ صفوة خلقه من الانبياء والمرسلين عليهم السلام وقد تكذبوهم فيما هم صادقون فيه.

ففيما جاءنا من عند الله في كتاب الله العزيز وفي الصحيح من سنّة رسول الله ﷺ ما يغنينا وفيه العبرة والموعظة وكفاية- وما أكثرها السور والآيات العديدة المستعرضة لسير الرسل والانبياء عليهم السلام، لا سيما سيرة سيدنا عيسى عليه السلام وامه السيدة مريم العذراء المبرأة في القرآن الكريم من كلّ سوء ما لا يتّسع المجال للاتيان عليه (لضيقه ولطبيعته كخطبة جمعة ينبغي فيها الاختصار) فسيرة مريم مفصلة في القرآن منذ أن حملت إلى أن وضعت وليدها وما دار بينها وبين الملك الذي جاءها من عند الله من حوار بليغ ودقيق. وقوة ايمان السيدة مريم واستعاذتها من الروح الذي تمثل لها بشرا سويّا وجوابه لها بصريح القول **﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾** وقولها **﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾** والجواب كان حاسما وفصلا لا جدال معه **﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾**.

ورغم تسليم السيدة مريم لحكم ربّها الذي جعله آية لها ولقومها ولنا ولكلّ الناس فإنها عندما فاجاها المخاض ـ لأنها بشر يعتري ايمانه الضعف ـ يصور حالها القرآن **﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (أي بعيدا عن أعين الناس) ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾** إنه ضعف البشر والخشية من العار وألسنة السوء التي لا يسلم منها أحد حتى الانبياء والرسل وصفوة خلق الله مثل مريم عليها السلام ومثل أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها التي نالها ما نالها من ألسنة السوء ولكن الله برأها

ولأن الباطل زهوق- رغم تحذير الله تبارك منه ومن عواقبه فإن البرهان والدليل

على البراءة سواء لصفوة خلق الله من الانبياء والرسل عليهم السلام أو المؤمنين الصادقين الذين كثيرا ما ينالهم الاشرار بمنكر القول من التّهم الباطلة الذين يحسبون ما تنطق به السنتهم من فتنة يحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم فالحذر الحذر عباد الله المسلمين من الفتنة ومن النيل من أعراض الناس بالباطل والكذب وهو اكبر الكبائر – فإن الله يدافع عن الذين آمنوا والنصرة من الله لمن ينال منه في عرضه وأيّ شأن من شؤونه لا تتأخّر– تأتي بمدد إلهي جرّاء تقواهم لربهم القائل ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ هنالك وفي اللحظات العصيبة وذلك الحزن والاسى الذي وصل إلى حدّ تمنّي الموت من طرف السيدة مريم عليها السلام (**يا ليتني متّ قبل هذا** (أي قبل هذا الوضع من غير زواج» هنالك جاءها البرهان والدليل على أن الامر هو أمر الله الذي يقول للشيء كُن فيكون، فيكون الحمل والوضع من غير زواج معتاد الذي يبقى معجزة اغلاقا وسدّا للذرائع لمن يمكن أن يتستّروا على الفسوق والفجور والانجاب عن غير الطرق الشرعية مما سوى مريم عليها السلام التي يقول الله في كتابه في حق ابنها ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ**﴾ فالذي يسلم بوجود آدم من تراب ينبغي عليه أن يسلم بميلاد عيسى دون اب ولكي تطمئن مريم عليها السلام ويذهب عنها الخوف من العار ومن القيل والقال من ألسنة السوء جاء الجواب ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد من تحتها (جبريل) ولم يتكلم عيسى إلا حين أتت به قومها والسري من الرجال العظيم الخصال. ثم توالت بعد ذلك المعجزات الدالة على أن عيسى وامه معجزتان ليستا لإقناع النصارى فقط – ولكن لإقناع كل مؤمن بان الله على كل شيء قدير أمره بين الكاف والنون لا يعجزه شيء وهو بذلك وغيره مستحقّ الالوهية والعبادة دون سواه سبحانه وتعالى.

هذا جانب توقفنا عنده بشيء من التوسع غير المحيط بكل جوانب حياة سيدنا عيسى وأمه كما جاء في كتابنا العزيز كله توقير وإجلال وتعظيم واعتبار بحياتهما وما فيها من البراهين والادلة والعبر التي تلتقي مع كل ما جاء به ديننا الحنيف وبلغه لنا نبينا الكريم عليه السلام وبهذا الاعتبار فنحن أولى بعيسى من اتباعه الذين حصروا الاحتفال بميلاده في ما نراه ونشاهده عندهم وما اصبح ويا للأسف الشديد تقليدا في بلاد العرب والإسلام– من لهو وصخب ومعاص وذنوب وانتهاك للاعراض وضرب عرض الحائط لما تامر به كلّ الديانات وما ينهانا عنه ديننا الحنيف من فحشاء ومنكر

من القول والفعل والتصرفات بدعوى الاحتفال برأس السنة –وأعياد الميلاد!!– كلا وألف كلا ليس في هذه التصرفات إلا التقليد الاعمى والتبعية والانسلاخ عن قيم الدين والاخلاق.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من التبعية العمياء والاتباع في غير ما فيه مصلحة في شأن من شؤون دنيانا– فقال **(لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر حتى إذا دخلوا جحر ضبّ دخلتموه وراءهم)** هذا هو المنهي عنه في دين الإسلام – أما المخالطة والمعاملة بالحسنى فذلك حديث آخر طالما ذكرنا به.

فعن انس رضي الله عنه قال: **قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: : كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر)** رواه أبو داوود

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ **(إن لكل قوم عيدا وإن هذا عيدنا)** رواه البخاري ومسلم وكان يوم فطر وأضحى وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ **(من تشبّه بقوم فهو منهم)** رواه الإمام أحمد وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال **(من تشبّه بهم حشر يوم القيامة معهم)** رواه البيهقي

والاحاديث في النهي عن التشبه والتقليد فيما ليس من قبيل العلم النافع والعمل الصالح لما فيه خيري الدنيا والاخرة من عادات وتقاليد الامم الاخرى منهي عنه ينبغي اجتنابه وعدم تعويد ابناء المسلمين عليه.

نسأل الله الهداية والسلامة انه سبحانه وتعالى سميع مجيب اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولوالدي ووالديكم انه هو الغفور الرحيم.

خطبة الجمعة للشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

(جامع البحيرة ـ تونس 29/ 12/ 2023).

يسألونك قل : مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ

الأكل من لحم النذر المتصدق به على فقراء من زاروا وليا صالحا حلال ويجوز الأكل منه

بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي ـ رحمه الله

السؤال: تقول السائلة الكريمة هل الزردة حرام ام حلال ؟ قال لي جارنا ان الزردة حلال اذا قدمت إلى الفقراء والمساكين أما اذا ذبحت للتقرب إلى الاولياء الصالحين فهي حرام. أما استاذي فقد قال لي انها حرام ومن ياكلها فهو ياكل مالا حراما. هذا وقد قمنا نحن بزردة ولم آكل منها لانني اشك في انها حلال ام حرام فغضب ابي وابني لعدم الاكل منها واقنعني بانها ليست حراما لكن هذا الامر لم يدخل ذهني ولم اقتنع به لذلك قررت ان ابعث لك سيدي الشيخ ما دمت تعرف الكثير وانا لم اجد اي شخص يقنعني ارجوك ان تدلني والله لا يضيع اجر المحسنين

الجواب: اعلمي ايتها السائلة الكريمة ان ما ذكرته في سؤالك من هذه الزردة اي الوعدة ان كان المقصود بالزردة هو التصدق بلحم الشاة على الفقراء والمساكين المجاورين لمقام ولي من اولياء الله الصالحين وجرت عادة اهل الجهة التي يوجد فيها مقام الولي ان يعدوا بـ (وعائد) للفقراء والمساكين وان يجتمع اصحاب الوعائد في مقام الولي وان يذبحوا وعائدهم في مقام الولي ويذكروا اسم الله على الذبيحة (الشاة التي تذبح) وانما ذكر الولي كمكان للذبح واهداء ثواب هذه الوعدة للولي الذي وقعت زيارته **فالاكل من هذه الوعدة جائز وهي حلال** ان لم يستثن نفسه وعياله من الاكل منها فان استثنى نفسه وعياله من الاكل منها فلا يجوز له الاكل منها لانه خصصها بلفظه أو نيته ان تكون للفقراء والمساكين دون نفسه وعياله ودون الاغنياء

قال **الشيخ ابو عبد الله محمد احمد عليش** المتوفي سنة 1299 هـ في كتابه (**فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك**) رضي الله عنه في اجابة من ساله

(ما قولكم فيمن نذر شاة لولي هل تلزمه مطلقا صرح في نذره بلفظ الله بان قال لله علي شاة للولي الفلاني أو لم يصرح بان لم يقل لله علي) فاجاب الشيخ عليش بقوله (تلزمه مطلقا سواء صرح في نذره بلفظ الله أو لم يصرح فيه بلفظ الله لان للنذر الوعدة صيغتين لله علي وعلي بدون ذكر الله لان المقصود انما هو التصدق بلحمها على الفقراء واهداء الثواب لروح الولي إلى آخر ما جاء في فتواه هذه، ثم قال الشيخ **عليش المالكي**، وسئل الشيخ **احمد الدردير المالكي** (هل يجوز لمن نذر لله أو لولي شاة الاكل منها واطعام الغني أو لا؟ وكيف الحال؟ فاجاب الشيخ احمد الدردير رحمه الله (النذر ان عينه اي الناذر للفقراء والمساكين بلفظه أو نيته فليس له ان ياكل منه اي الناذر وان اطلق الناذر ولم يعين النذر للفقراء والمساكين جاز للناذر ان ياكل من نذره هو وعياله، ومن كلام **الشيخين عليش واحمد الدردير رحمهما الله** تعالى نفهم ان الاكل من لحم الزردة (الوعدة) حلال لانها مما ذكر اسم الله عليه وانما ذكر الولي لبيان محل الوفاء بالنذر (الوعدة) لينتفع بهذه الزردة الفقراء والمساكين المجاورون لضريح هذا الولي الذي ذكره الناذر في نذره. والله الموفق

من مؤلفات العلامة فضيلة الشيخ عبد الله بن بية
(رئيس منتدى ابو ظبي لتعزيز السلم ورئيس مجلس الامارات للافتاء الشرعي)

***تنبيه المراجع في تأصيل فقه الواقع**
*** مشاهد من المقاصد**
*** صناعة الفتوى وفقه الأقليات**
*** مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات**
*** سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات**
*** توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال**

الى جانب عناوين أخرى وفتاوى وبيانات وورقات عمل قدم به فضيلته مؤتمرات منتدى ابوظبي لتعزيز السلم.
بارك الله في جهوده وامد في أنفاسه ونفع بعلمه الامة انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

هذه هي مجلة «جوهر الإسلام»

بقلم الأستاذ محمد أيمن القربي

هذه هي مجلّة جوهر الإسلام لصاحبها فضيلة العالم المحقق والخطيب المفوّه المنعّم المبرور سيدي الحبيب المستاوي رحمه الله تعالى(9جانفي 1923/ 18 سبتمبر 1975) علم زيتوني من مواليد بلدة الرقبة من تطاوين بالجنوب التونسي،عُرف بصدعه بكلمة الحق كلّفه ذلك ما كلّفه ،لا يخشى في الله لومة لائم... رجل صال وجال بعلمه فأفاد وأجاد فهما وإدراكا ونورا وقبولا...

وهذه المجلة الغرّاء تأسست في (1388هـ - 1968م) بمجهود خاص من فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي إسهاما منه في شرف الدعوة إلى الحق مع إدراكه بأنّ الدعوة إلى الله في عصر اختلطت فيه السُبل وتشعبّت المسالك وطغت الاعتبارات الماديّة على كل ما سواها لا تثمر إلا متى أُرجعت إلى أصلها الذي منه انطلقت وعليه ارتكزت... وهي أوّل مجلة ثقافية إسلامية تصدر بتونس بعد الاستقلال وهي امتداد للمدرسة الزيتونية العاشورية القائمة على الوسطية والاعتدال والتسامح والاجتهاد والتجديد... وقد تلهّف الكثير من أبناء القطر التونسي إلى نشرة إعلامية مثلها تنوعا وأسلوبا ومحتوى يستلهمون بواسطتها ثقافتهم الإسلامية ... وقد اتخذ صاحب الجوهر الآية التالية شعارا لمجلته:﴿**وَلْتَكُنْ منكُم أُمّة يَدْعُون إلى الخَير ويأمرُون بالمَعْروف ويَنْهَوْنَ عن المُنكر وأولئِكَ هم المُفْلِحُون**﴾ [آل عمران : 104] ويَعتبر الشيخ المستاوي مجلته جوهر الإسلام نقطة التقاء للكثير من العبقريات الإسلامية شرقية وغربية؛ وبالفعل التفّ حولها مجموعة من الباحثين والكتّاب والمفكرين من داخل تونس وخارجها يُمدُّونها بأبحاثهم ومقالاتهم في كل شهر وهم يرون مع صاحب الجوهر أنّ أيّ تقدّم واستقرار وقوة لا يحصل إلا متى رجع المسلمون إلى أصول حضارتهم المتمثلة في اللغة والدين وبنوا على تلك الأسس غدهم السعيد... وفعلا كانت هذه المجلة المتميزة ولا زالت منبرا للكثير من علماء الإسلام لم يكن ليتسنى لهم هذا الاجتماع لو لم يكن

هذا الجهد المبذول من قبل صاحب الجوهر ... ويكفي أن أذكر في هذه السياقات أن فضيلة العلامة محمد الفاضل ابن عاشور كان له حيّز هام من البحوث والمقالات حيث نوهت الجوهر بخصاله فقالت في افتتاحيتها بمناسبة مرور عام على وفاة العميد ابن عاشور: «لقد كانت مجلة جوهر الإسلام وأسرتها ممن أسعدهم الحظ، وشرّفهم القدر بصحبة هذا العلم والاستفادة من علمه وعقله والتنوير بروحانيته الشفافة اللطيفة فلا غرو أن تكون هذه الأسرة فاضلية النزعة والهدف والأسلوب لأن معين الارتواء واحد، وإن اختلف المتضلعون منه حسب الأوعية والاستعداد»... ومن فضل الله تعالى ومنّه أن ترك الشيخ من صلبه من يواصل مسيرة العطاء والاجتهاد من خلال ابنه فضيلة الشيخ صلاح الدين المستاوي الذي يترأس حاليا رئاسة تحرير هذه المجلة التونسية الزيتونية باذلا قصارى جهده وكل وقته في سبيل مواصلة رسالتها المعرفية والفكرية .... وأضيف إلى ما سبق هذه الشهادة التاريخية لسماحة مفتي الجمهورية الشيخ هشام بن محمود حفظه الله حيث تفضل بما يلي:

(هذا طراز رائد ومثال من أمثلة من أنجبتهم الزيتونة من أعلامها المناضلين العاملين... لقد شدتنا إلى فقيدنا الجليل العالم والخطيب وصاحب القلم والمواقف فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي برد الله ثراه أواصر متجذرة انطلقت من صلته المتينة بسيدي الوالد رحمه الله وتواصلت بحمد اللّه بعد رحيل الأعلام وبخاصة بينه وبين الشقيق الأكبر الشيخ أبراهيم حفظه الله ولقد عشنا بعضا من مواقفه وصولاته التي أكدت لنا أن في الزيتونة رجالا وأعلاما، كان ذلك داخل الوطن الحبيب تونس الخضراء أو في البلاد العربية والإسلامية والتي كنت سعيدا بالقرب منه في بعضها حيث كنا ننبهر بقدراته الخطابية وما أفاء الله به عليه من علم وأسرار وبخاصة ذلك العشق الجامع بيننا وهو حبك الأبدي يا حبيب الأمة يا سيدي يارسول الله...

لقد تعددت مجالات إبداعه ووفائه أساسا للسابقين من أعلامنا واحتضانه للأجيال اللاحقة من أبناء الزيتونة وكنت أحد هؤلاء الذين أسهموا قدر جهدهم بفضل تشجيعه ودعمه بالكتابة في مجلة جوهر الإسلام والتي يديرها اليوم وبكل اقتدار نجله الاعز مقام الأخ الأستاذ صلاح الدين المستاوي حفظه الله ... أعاننا الله على السير على خطاهم دعما للمعلم والأعلام .)

وختاما وبعد هذه الكلمات المحمودية الرائقة لا يسعنا إلا أن نقول رحم الله الشيخ الحبيب المستاوي وأسكنه الفردوس الأعلى وبارك في نجله الشيخ صلاح الدين المستاوي وأعانه على مواصلة السير عبر جوهر الإسلام لتكون مصدر إشعاع وثبات على المبدأ، مبدأ الذود عن العروبة والإسلام وبقاء وطننا التونسي الأبيّ مرفوع الراية على مرّ الأيّام وأدام الله هذه المجلة بكنوزها المعرفية وأبحاثها الدينية ومرجعيتها الزيتونية...

اغتراء الأغرار
يدعو إلى الإعتبار والإستنكار

كتبه : ص ـ أ ـ س

وصلتني بتاريخ مساء الأحد 18 جمادى الثانية 1445هـ الموافق 31 ديسمبر 2023م، تدوينة قصيرة، من أحد الشيوخ المحبين، والعاملين المخلصين، والجادين في خدمة الدين ونفع الأمة بصدق وتفان، على الصعيدين الداخلي والخارجي ...مفادها كما يلي : «أنا في هده المرحلة، أصبحت شبه آيس من أي عمل جماعي، فقد لاحظت أنهم أو كأنهم يرون في من هو أكبر سنا، وأسبق منهم، وأكثرهم حضورا في الداخل والخارج، وهم يعتبرون أمثالي وأمثالك مضايقا لهم .اللهم إنا لا نرغب في أي شيء منهم .فالحمد لله الذي أتاح لنا من مجالات العمل التي نرجو أن تكون خالصة لوجه الله تعالى .

وبالتالي، أجبت بما يلي، عسى أن ينتفع القراء بذلك إن شاء الله :

1 .وبالتالي يقول تعالى : ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾.

2 .وفي الحديث الشريف : «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**».

3 .والإعتبار بما جاء على لسان الشاعر فقال:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم بعضا ويدفع معور عن معور

■الجماعة :هي أفراد، قلة كانت أو كثرة، والإمام الشهير أبو حنيفة رحمه الله يذهب إلى أن ألحد الأدنى للجماعة في الصلاة يبدأ من اثنين فأكثر،أي : إمام ومأموم، وكلما زاد العدد جاء الثواب فيها أغزر،و الحسنات أوفر .

ولذا، فأنا أحسب أن العمل الجماعي هو كذلك، زائد : حسن الأنتقاء، وتمحيص النوايا، وتزكية النفوس، والتجرد من الأهواء والمطامع، وفي النهاية فإن العمل الفردي، ومثله الجماعي، له محاسنه ومساوئه، وإيجابياته وسلبياته، ولا ننس حديث المصطفى ضلى الله عليه وسلم :«**يد الله على الجماعة** »أو «**مع الجماعة**».

■و بالمناسبة، قال لي مرة فضيلة الدكتور عبد الحليم خلدون الكناني رحمه الله –بعد أن عمل في منظمة اليونسكو ربع قرن –:كلما كثر عدد أفراد العمل الجماعي، قلت نتائجه .

والحقيقة التي أستنتجها –و أنا صاحب عمل في الميدان بشقيه : الإنفرادي والجماعي، يجعلني أتحسر وأقول

نحن المسلمون متخلفون –علميا –عن روح الجماعة، وذلك لأسباب أراها أو عشتها في حياتي على مدار الخمسين عاما، ومجملها : أسباب قاهرة قانونيا، وأخرى سلبية، متغلغلة في النفس البشرية منذ النشأة، وهي كثيرة أهمها : الكبر، والحسد، والأنانية، وحب الظهور، والإستعلاء، وعدم تقدير أو تقديم الأولويات : كأصحاب الكفاءة، والمروءة، ونوعية التخصص المفيد من أصحاب الجدارة، أو حتى ميزة الإنضباط، وتحمل عبئ المسؤوليات الضخمة التي تنوء بها العصبة أولي القوة .

■ والذي أريد أن أخلص إليه في النهاية، هو : قد تجد فردا يقوم وحده بما لا تقوم به جماعة أو مجموعة، بمعنى :تتحقق على يديه مالا تحققه الجماعة، وهذا ليس بغريب، استئناسا بما قاله ربنا عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ**﴾، وقد حدث هذا ولا يزال يحدث حتى في عصرنا الحديث، والشواهد من حولنا كثيرة، وأنا أذكر ببعضها، كأنموذج يحتذى :

1 –(تونس): محمد الطاهر ونجله محمد الفاضل بن عاشور، والحبيب المستاوي، رحمهم الله.

2 –(مصر): محمد الغزالي السقا .رحمه الله

3 –(الحجاز):عبد العزيز بن باز .رحمه الله

4 – الكويت): عبد الرحمان السميط. رحمه الله

5 –(فرنسا):محمد حميد الله. رحمه الله

وفي الختام، فإن أمة الإسلام عموما بخير، وفي ذلك تنبيه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، والحمد لله رب العالمين، الذي بنعمتة تتم الصالحات . كتبه : ص . أ .س

إخلع نعالك فالمكان مقدس والأرض حولك كلها محراب

رائعة الشاعر القيرواني محمد الغزي (رحمه الله)

مَهْلاً فقدْ يتعاتَبُ الأحْبابُ
فكأنّمَا كلُّ المَسالكِ ألسُنٌ

بعضُ الهوى يا قيْروانُ عِتابُ
وكأنَّمَا كلُّ الدُّروب خطابُ

إنّي الذي ما تبْتُ عنْ وجَع الهوى
وهتفْتُ بِابْنِ رشيقِها يَا سيّدي

لمّا الكثيرُ من الأحبّةِ تابُوا
قدْ ألّفتْ ما بيننا الأسْبابُ

إنّي أميرُ العاشقينَ بأرضِكمْ
فادْخُلْ لحانِ قصائِدي فجِرُارُها

وجميعُكمْ في ساحتي حُجّابُ
فُضّتْ مغالقُها ودارَ شَرابُ

اخْلعْ نِعَالكَ فالمكانُ مُقدّسٌ
اشربْ فمنْ جرّات خمرتك التي

والأرْضُ حوْلكَ كلُّها مِحْرَابُ
نامتْ قرونًا هذهِ الأكوابُ

عهدٌ علينا أنْ يُضَمَّ صَبابةً
امددْ يديكَ فمنْ دواليكَ التي

هذا التّرابُ وتُلثمَ الأعْتابُ
أوْرَثْتَنِيهَا هذهِ الأعنابُ

لغةٌ هيَ الأضْواءُ بيْن دُروبها
منْ قبْل ألْفٍ أنتَ قدْ علّمْتَنا

لغةٌ هيَ الشّرفاتُ والأبْوابُ
أنَّ القصيدةَ نعمةٌ وعذابُ

لغةٌ هي النظراتُ تجْري خِلسةً
فهيَ ابتهاجُ الرّوحِ وهْيَ عذابُها

لغةٌ هيَ الأحْداقُ والأهْدابُ
فنُسَرُّ إنْ هَمّتْ بنا ونَهابُ

يا بئرَ رُوطةَ والجِرارُ تناوَبَتْ ... فكأنّما هذا الكلامُ حجابُ
هلْ لي بهاتيكَ الجِرارِ شرابُ ... يا أمَّ أندلسٍ وأمَّ رجالِها
قُولي لدُولابِ المياهِ يدورُ: يا ... هلاَّ عَلمتِ بمَا جَنَى الأعقابُ
دولابُ تجْمعُ بيْننَا أسْبابُ ... فلقدْ فتحتِ الأرضَ أنتِ وضيّعوا
إنّا لنرْوي الظامئينَ تكرّمًا ... وجرؤتِ أنْت على الزمان وهابُوا
ونظلُّ ظمْآنيْنِ يا دُولابُ ... وبنيْتِ عزَّ المغربيْنِ وهدّمُوا
ضاعَ الشبابُ وما اقترفت جُنَونَهُ ... وظفرْتِ بالمجْدِ العظيمِ وخابُوا
وكأنّما بعْد الشبابِ شبابُ ... قد كنت ضوْءَهُمُو إذا مَا ألْيلُوا
أينَ الأحبّةُ في الجوارِ فإنّني ... وسحابَهُم إنْ مسّهُمْ إجدابُ
قدْ كنْتُ أصْفيْـتُ الودادَ وشابُوا ... أثقال دهْرٍ قدْ حملْتِ صُروفَها
قولوا لهمْ إنّي الوفيُّ لعهدهمْ ... ناءَتْ بحملِ صُروفها الأحْقابُ
سيّانِ كانُوا بيْنَنا أمْ غابُوا ... وبقيتِ للأهلِينَ بابًا مُشرَعًا
وسألْتُ إذْ مرّتْ رَبَابٌ بيْننا ... إنْ أُغْلقِتْ منْ دُونهمْ أبْوابُ
هلْ تذكُرُ العهْدَ القديمَ رَبَابُ ... أيْدٍ إلى كُلّ الوَرَى مبسوطةٌ
قولُوا لها للهجْرِ آدابٌ كما ... ومجالسٌ للقادِمينَ رِحَابُ
للوَصْلِ في عُرْفِ الهوى آدابُ ... فكأنّما الأضْيافُ منْ قُطّانِها
ما انحلَّ عقدٌ بيننا يومًا وإنْ ... وكأنّما منْ أهْلهَا الأغْرَابُ
شطّتْ بنا سبُلٌ وطالَ غيابُ ... ضوّأْتِ ليلَ الأرضِ وهو معتّمٌ
فعلامَ إنْ نحْنُ ادّنيْنا أطْرَقَتْ ... وأقمْتِ بيتَ الشعر وهوَ خرابُ
وانْسَابَ جفناها وعيَّ جوابُ ... كلُّ الشعُوبِ غزتْ بقاطعِ سيفِها
قصرَ الكلام فلا يقولُ تولُّهي ... وفَتَحْتِ أنْتِ وفي يديْكِ كتاب

تلقيح اسمه «الحمد لله» ...

بقلم صالح الحاجة

الحمد لله أولا وثانيا وثالثا ..
الحمد لله في البدء وفي الخاتمة ...
وليس من الصدفة إن كانت في القرآن الكريم هي الفاتحة... والبداية... ونقطة الانطلاق في أعظم كتاب ...
أنا أحب الكلمات... وأتلذذها ... واستعذبها ... خصوصا منها الكلمات الجميلة ...
ولكن استطيع أن اجزم بأن «الحمد لله» هي الأجمل والأعذب في لغتنا العربية...
إنها سيدة الكلمات العربية على الاطلاق ...
إنها الملكة دون منازع ...
ثم هي مدججة أكثر من سواها بالمعاني ...والمشاعر ...والاحاسيس ...
وتحتوي على شحنة روحية ما ان تنطق بها حتى تنفجر بداخلك كوكبة من الإشعاعات النورانية... واذا انت بداخلك نور... وحولك نور ...
أنا ما من مرة نطقت بها إلا وأحسست بارتواء... وارتياح... وانشراح...وسرور... وطمأنينة...
إنني عندما انطق بها أجد حالتي النفسية وقد تغيرت وانتقلت من حالة إلى حالة ...
سبحان الله ...ما أحلاها كلمة ..
ما أعظمها كلمة ...
ما أعجبها كلمة ..
بل هي عندي بمثابة التلقيح الذي يحصن الإنسان ضد أمراض نفسية عديدة...
إنها أعظم حربوشة في الكون... لا تباع في الصيدليات... وتباع بالمجان ...
عالجوا أنفسكم بدواء سحري عجيب سريع الشفاء اسمه « الحمد لله» ...

refuge dans les invocations et les actes de dévotion.

- Il ne sera point voilé dans les attributs avec l'affluence des Volontés. Ceci est l'instant de lucidité des pensées et l'abondance des sciences.
- Ils en deviennent les étoiles de la connaissance, les lunes de l'Unicité. Ils sont bien guidés dans la nuit ; le soleil des connaissances en illumine les journées. « Ce sont eux le parti d'Allah ; certes le parti d'Allah réussira ».

Ce court récit est un exemple éloquent indiquant la finesse du Cheikh Abū al-Hassan qui réunit dans son discours les principes de la *šarī'a* avec ceux de la *haqīqa* et ce sans la moindre opposition ou contradiction. Son discours est à la fois coranique et symbolique, sans que le symbole ne dépasse les limites de la Li divine.

Ainsi, la méthode de ce maître consiste à élever les âmes en conformité avec le discours rigoureux. Grâce à cet équilibre, les docteurs de loi et les mystiques se retrouvent à l'abri des animosités ; et c'est pour les réconcilier que Cheikh Ach-Chadli a œuvré pour cette harmonie entre les enseignements spirituels et les actes rituels, entre la *haqīqa* (la vérité) et la *šarīa* (la loi). La voie Chaduliyya a tenté d'établir cet équilibre tout au long de son histoire afin de fédérer les Musulmans autour d'une spiritualité sunnite qui s'impose à tous, étant inspirée essentiellement des sources scripturaires, tout en se nourrissant des finesses symboliques.

Dans ce court texte, on voit également comment la terminologie de l'école de Bagdad, al-Junaid à sa tête, se conjugue avec celle de la poésie amoureuse et les notions coraniques dans une parfaite harmonie. Les frontières de chaque discipline sont respectées ; de même que les préceptes de la *šarīa,* les actes d'adoration, la primatie de Coran, l'importance de la tradition prophétique sont observés. Ce qui conduit vers un autre type d'équilibre entre la dimension intellectuelle et la dimension culturelle pour que l'une et l'autre aillent de pair dans le cœur et le comportement des croyants. Ces derniers ont aujourd'hui besoin de cet équilibre pour vivre pleinement leur religion dans le monde moderne, pigé par les avancées technologiques et numériques. Avec une âme abreuvée de cette liqueur d'amour, ils résisteront.

مِن أنْوار الله المَخزونَة، فَذلك هو **الرَّيُّ**.

- وَرُبَّما غابَ عَن المَحسوس والمعقول، فَلا يَدري ما يُقال ولا مَا يَقول فذلك هو **السُّكْر**.
- وقَد تَدور عليهم الكاسات وتختلف لَدَيْهِم الحَالاَتُ، ويَهرَعون إلى الذِّكر والطَّاعات، ولا يُحجَبَون عن الصِّفَاتِ، مَع تزاحم المَقدورات فذلك وَقْت **صَحْوِهِم** واتِّسَاعِ نَظَرِهِم ومَزِيدِ عِلْمِهِم.
- فهو نجوم العِلْم وقَمَر التَّوحِيد، يَهتَدونَ فِي لَيْلِهِم، وبِشموس المعارف يَسْتَضِيئون في نَهَارِهِم، «أولئكَ حِزبُ الله، ألاَّ إنَّ حزبَ الله هُمُ المُفْلِحونَ». (انتهى كلام سيدي أبي الحسن)

قلت: والسَّاقي الأعظم، سُبحانه وتعالى، أوكلَ حَبيبَه مُحَمَّدًا، صلى الله عليه وسلم، أنْ يسقيَ بكلامِه العزيز قلوبَ المؤمنينَ فَيَشْفيهم. فلا يَسُوغُ الشَرَابُ ولا يَحْلَى إلاَّ إذَا نَاوَلَتْه راحَةُ المصطفى، صلوات الله وسلامه عليه.

Cheick Abū Al-Hassan Ach-Chādlī fut interrogé:

Nous savons ce qu'est l'amour. Toutefois, nous ne savons pas ce qu'est la liqueur de l'amour ? La coupe d'amour ? Qui la sert ? Qu'est-ce que le goût ? Qu'est-ce que la liqueur ? Comment en étancher la soif ? Qu'est-ce que l'ivresse ? La lucidité ?

Abū al-Hassan ach-Chadli répondit :

- La liqueur est la lumière qui jaillit de la beauté du Bien-aimé.
- La coupe est la finesse qui amène cette liqueur vers les cœurs.
- L'échanson est celui qui prend en charge l'élite et les pieux parmi Ses serviteurs. Et c'est Allah lui-même qui connaît les destins et les intérêts de Ses bien-aimés.
- Pour qui on dévoile la beauté pour en bénéficier un ou deux souffles, avant que le voile ne descende, est le Savoureur, épris de langueur.
- Celui qui en profite un ou deux instants est celui lui qui boit réellement ;
- Etre continuellement épris d'une boisson circulant jusqu'à ce que les veines et les articulations en soient remplies par la lumière cachée d'Allah est la plénitude.
- Il se peut qu'il soit absent du concret et de l'abstrait. Il ne saura ce qu'on dit, ni ce qu'il dit. Ceci est l'ivresse.
- Il advient que la coupe tourne, que les états varient, lui, trouvera

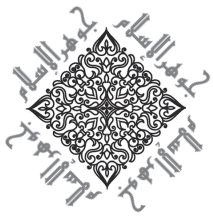

Abū al-Hassan ach-Chadlī Entre Loi et Voie

Nejmeddine al-Madani

La voie Chadliyya se fonde sur un équilibre entre les préceptes cultuels (pratiques) et les élans mystiques d'expression symbolique. Pour éclairer cet équilibre et les éléments qui l'établissent, nous présentons ce récit attribué à Abū al-Hassan Ach-Chadli avec sa traduction en français et une courte analyse. L'objectif est d'affirmer que l'observance des lois religieuses vont de pair avec les élans de l'âme qui cherche à s'élever dans hauteur de la vérité divine.

سُئِلَ الشيخُ سيّدِي أبُو الحَسَنِ الشَّاذُلِي، رَضيَ الله تعالى عنه:

– قَد علمتُ الحُبَّ، فَما شَرابُ الحبِّ؟ ومَا كأسُ الحبّ؟ ومَن السَّاقِي؟ ومَا الذوقُ؟ ومَا الشُّربُ؟ ومَا الرَّيُّ؟ ومَا السُّكْرُ؟ ومَا الصَّحْوُ؟

قَال سَيِّدي أبو الحسن الشَّاذُلِي، رَضيَ الله تعالى عنه،:

- **الشَّرَابُ** هو النُّورُ السَّاطِع عَن جَمالِ المَحْبوب. و**الكَأْسُ** هو اللّطفُ المُوصِلُ ذلكَ الشَّرابِ إلَى أفْوَاه القُلوب، و**السَّاقِي** هو المُتَوَلِّي الخُصوصَ الأكبَرَ والصَّالحينَ من عِباده، وهو **الله** العَالِمُ بالمَقادِير ومَصالِح أَحِبَّائِه.
- فَمَن كُشِفَ لَه عن ذلكَ الجمال وحَظيَ بِشَيءٍ مِنهُ نَفَسًا أو نَفَسَيْن ثمَّ أُرخِيَ عَلَيْهِ الحِجَابَ فَهو **الذَّائِقُ المُشْتَاق**.
- ومَن دَامَ له ذلكَ ساعةً أو سَاعَتَيْن، فَهو **الشَّاربُ** حَقًا.
- ومَن تَوالَى عَلَيه الأمرُ ودَامَ لَه الشُّربُ حَتَّى امتَلأتْ عُرُوقُه ومَفَاصِلُه

tuelle se produit en effet uniquement chez ceux qui se parent de cette vertu de la *taqwâ*. Dieu dit : *Qui s'accroche à Dieu cherchant Sa protection sera de fait guidé sur une voie droite.* (3 : 101)[5]

Dans un autre traité intitulé *Quintessence des sciences de l'islam*, Shaʿrânî rappelle lui-même que « l'*ijtihâd* signifie d'abord s'efforcer d'acquérir une disposition intérieure telle qu'on reçoit de Dieu une inspiration spécifique octroyant une part des sciences sacrées ; aussi cette connaissance inspirée est-elle nécessairement conforme à la *Sharîʿa.* » Le maître précise également que « celui qui met en pratique les énoncés explicites du Coran et de la Sunna comme il convient, Dieu lui accordera un discernement divin (*furqân*) : *Si vous craignez Dieu, Il vous accordera une capacité de discerner* (8 : 29), c'est-à-dire qu'Il placera en vos cœurs une balance ou une mesure (*mîzân*), grâce à laquelle vous saurez discerner le vrai du faux, et vous pèserez et évaluerez tout ce qui se présente à vous dans votre vie spirituelle et temporelle. »

Aux yeux de Shaʿrânî, l'autorité doctrinale des imams *mujtahidûn* se fonde donc non seulement sur leur piété, leurs qualités morales et leur expertise en droit islamique, mais aussi sur le fait que Dieu les a inspirés pour guider la communauté dans la compréhension et la pratique de la religion. Ces grands imams connaissaient la richesse de la Loi divine, sa sagesse et ses finalités, parce qu'ils avaient atteint un haut degré de réalisation spirituelle. A l'instar d'autres savants et maîtres soufis avant lui, tels Al-Hujwirî (m. 465/1072) dans son *Kashf al-mahjûb* ou l'imam Abû Hâmid al-Ghazâlî (m. 505/1111) dans son *Ihya' 'ulûm al-dîn*[6], Shaʿrânî considère les imams fondateurs des quatre écoles sunnites avant tout comme des saints, des « amis de Dieu », qui bénéficiaient d'une relation directe avec le Prophète.

L'unité doctrinale et la diversité providentielle des écoles traditionnelles, qui sont inséparables de la connaissance spirituelle et de la sainteté, sont brillamment résumées par les vers suivants de l'imam Ahmad ibn Raslân de Ramallah (m. 844/1440), tirés de son poème didactique sur le fiqh *çafwa al-zubad* : « Shâfiʿî, Mâlik, Al-Nuʿmân - Ahmad ibn Hanbal, Sufyân - Et tous les autres maîtres de la science - sont bien-guidés, et la différence est clémence ! - Les saints ont des prodiges, leurs degrés sont divers. - Mais ils ne sauraient produire un enfant sans père ! »

A suivre

(5) Cf. notre article « *Iǧtihād* et *ittibāʿ*. La méthode du šayḫ al-Azhar ʿAbd al-Ḥalīm Maḥmūd (1910-1978) » paru dans le *MIDEO 36*. https://journals.openedition.org/mideo/6856?lang=en

(6) Cf. notre traduction du *kitâb al-'ilm*. Abû Hâmid al-Ghazâlî, *Le livre de la Science*, éd. Albouraq, 2009.

dine, descendant du Prophète Muhammad, dont dérive l'école ja'farite suivie par les chiites, et qui est reconnu comme un maître par les sunnites également. Leur maîtrise exceptionnelle des sciences traditionnelles les a rendus aptes à porter l'effort d'interprétation et de pénétration de la Sharî'a au plus haut niveau, ce que l'on appelle *al-ijtihâd al-mutlaq*. Cette qualification leur conférait une autorité indépendante pour interpréter les sources du Coran et de la Sunna, et en déduire (*istinbât*) des règles pratiques, détaillées et adaptées aux besoins et contextes des musulmans.

Selon le point de vue islamique traditionnel, les grands imams s'accordent sur l'essentiel. Les avis différents qu'ils ont émis, à partir des sources premières du Coran et de la Sunna, s'expliquent formellement par des différences de méthodologie scientifique, par les nécessités de leur contexte, et par la richesse sémantique et grammaticale de la langue arabe du Coran et de la Tradition prophétique, qui se prêtent à plusieurs possibilités d'interprétation et de significations. Au-delà de ces aspects méthodologiques et contingents, les différences d'appréciations jurisprudentielles entre les imams ont des raisons profondes et des implications spirituelles importantes, comme nous le verrons plus loin, à travers la « balance » de Sha'rânî.

Ijtihâd et sainteté

'Abd al-Halîm Mahmûd (m. 1978), ancien grand-imam d'Al-Azhar, écrit au sujet des écoles traditionnelles de jurisprudence islamique : « Les différents *madhâhib* représentent des points de vue qui sont tous issus de l'école du messager de Dieu. Ainsi envisagés, ils ne sauraient donner lieu à des divisions ou des séparations entre individus ou entre groupes. […] Pour pouvoir être *mujtahid*, la condition prioritaire et indispensable, avant et après toutes les autres, c'est de posséder la vertu de la « prémunition spirituelle » (*taqwâ*)[(4)]. Les sommités de la jurisprudence islamique furent tous aussi des saints (*awliyâ'*). L'*ijtihâd* sincère, d'après les plus grands *mujtahid* eux-mêmes, est une illumination spirituelle (*fath min Allâh*), une lumière (*nûr*) provenant de Dieu. Aussi rendons-nous visite pieuse à l'imam Al-Shâfi'î, parce que nous croyons fermement qu'il fait partie des amis les plus proches de Dieu ; de même les habitants de l'Irak rendent visite pieuse à l'imam Abû Hanîfa, parce qu'ils croient fermement qu'il fait partie des amis les plus proches de Dieu, et il en va de même pour tous les autres grands imams. Cette illumination spiri-

(4) Le terme arabe *taqwâ* est dérivé de *wiqâya*, signifiant « prévention », « protection ». Sa traduction habituelle par « piété » ou par « crainte » ne rend que partiellement les différentes acceptions de cette notion centrale de la spiritualité et de la pratique musulmanes. Si la *taqwâ* consiste pour le croyant, suivant l'interprétation la plus courante, à se « prémunir » de la colère et du châtiment divins, notamment grâce aux actes d'obéissance, aux bonnes actions, aux bonnes paroles, etc., certains mystiques musulmans précisent que cette vertu religieuse a une portée à la fois pratique et spirituelle. La *taqwâ* du cœur ne se limite pas à la peur de l'enfer ou de l'hypocrisie, mais correspond à un état de crainte révérencielle devant la Majesté divine.

univoques. L'existence et le respect du pluralisme religieux apparaissent dès les origines de la communauté musulmane. Ils font partie intégrante de l'héritage prophétique. C'est ainsi que le Prophète lui-même, interpelé par deux compagnons en désaccord sur la lecture d'un verset du Coran, confirma chacune de leur lecture, indiquant que le Coran avait été relevé avec des variantes, selon sept lectures qui intègrent la diversité des idiomes en usage au sein des tribus arabes de l'époque. De même valida-t-il différentes interprétations pratiques d'une même prescription religieuse, proposées ou mises en œuvre par certains de ses compagnons, confirmant de fait la possibilité d'applications diverses et variées, tout aussi valables les unes que les autres, ainsi que l'étendue de la compréhension et des options qui s'offrent aux croyants dans la pratique de la religion.

Le travail de transmission porté par la première génération des disciples du Prophète se poursuivra à travers la chaîne rattachant maîtres et disciples au cours des générations successives, qui forment ensemble les « vertueux prédécesseurs » (*al-salaf al-çâlih*) : les élèves des compagnons (*al-tâbiʿûn*), puis les élèves des élèves (*tâbiʿû al-tâbiʿîn*), puis leurs élèves et successeurs immédiats. L'étude des sources scripturaires que sont le Coran et le hadith prophétique, avec la nécessité de formaliser leur interprétation sous formes d'énoncés doctrinaux et de règles pratiques pour répondre aux besoins de la communauté musulmane, dans les différents contextes où elle se trouve, donne naissance à la discipline du *fiqh* comme droit et jurisprudence.(2) Cette science se développera peu à peu, favorisant l'émergence d'écoles doctrinales et jurisprudentielles (*madhâhib*), qui se forment autour de l'enseignement et de l'héritage intellectuel de grands savants dès le premier siècle de l'Hégire. Des cercles d'apprentissage se retrouvent dans les principales villes des territoires musulmans, si bien que la pluralité des *madhâhib* reflète en même temps une diversité géographique, sociétale et culturelle : l'école d'Abû Hanîfa al-Nuʿmân (150/767) à Kûfa ; l'école de Mâlik b. Anas (179/795) à Médine ; l'école de Muhammad b. Idrîs al-Shâfiʿî (204/820) à Bagdad puis au Caire ; l'école d'Ahmad b. Hanbal (241/855) à Bagdad.(3) A ces grands savants il convient d'ajouter en particulier l'imam Jaʿfar al-çâdiq (m. 148/765) à Mé-

(2) Outre les sources scripturaires, Coran et hadith, le fiqh s'appuie également sur des sources secondaires et subsidiaires comme le consensus des savants (*al-ijmâʿ*) habilités et qualifiés pour exercer l'*ijtihâd*, et la déduction analogique (*al-qiyâs*). D'autres considérations et critères peuvent entrer en compte dans la réflexion et les jugements des savants, comme l'intérêt général (*al-maçlaha al-mursala*), le jugement préférentiel (*al-istihsân*), la pratique des Médinois (pour l'imam Mâlik), la prévention des risques (*sadd al-dharâʾiʿ*), et les coutumes locales (*al-ʿurf*).
(3) Parallèlement aux quatre écoles sunnites qui perdurent jusqu'à nos jours, on sait que d'autres écoles ont existé, fondées par des imams reconnus pour leur *ijtihâd*. On peut mentionner notamment, dans l'ordre chronologique, Sufyân b. ʿUyayna (107/725), al-Awzâʿî (157/774), Sufyân al-Thawrî (161/778), al-Layth b. Saʿd (175/791), Ishâq b. Râhawayh (238/851), Dâwûd al-Zhâhirî (270/883), et Ibn Jarîr al-Tabarî (310/923).

Aimer sincèrement La sagesse de la Sharî'a selon la Balance Suprême de 'Abd al-Wahhâb al-Sha'rânî

Par Abd-al-Wadoud Gouraud[1]

L'unité dans la diversité

D'après Sha'rânî, la préservation de l'unité spirituelle, religieuse et communautaire n'implique aucunement l'uniformité et l'absence de toute différence. Le maître rappelle que la multiplicité et la diversité sont inhérentes à l'existence même du monde, et sont un signe évident de la Volonté, de la Science et de la Sagesse divines. Il est par conséquent naturel que cette diversité providentielle se manifeste et se décline sur le plan religieux sous des formes adaptées aux différences de « tempéraments, de structures, de conditions et de styles ». Il s'agit donc de différences sur le plan contingent des formes, et non sur le plan des principes spirituels et métaphysiques. « Prends garde à ne pas confondre les plans en assimilant à tort les différences au niveau des applications (*furû'*) avec des désaccords de principes (*usûl*). Ce serait une grave erreur ! », avertit Sha'rânî. La foi ancrée dans une telle vision métaphysique de la Science et de la Miséricorde infinies de Dieu permet, selon lui, d'admettre et de comprendre « que les divergences entre les grands imams de cette communauté en matière d'applications religieuses en est la plus louable conséquence et la plus droite direction »

Même s'il se fonde sur la reconnaissance d'une Tradition sacrée immuable dans ses principes, l'islam n'a jamais cherché, dans ses applications, une homologation forcée de toute la communauté autour de positions et dispositions

(1) Texte tiré de l'avant-propos de notre traduction : Sharani, Règles spirituelles et secrets de la prière, éditions i, 2023.

JAWHAR EL ISLAM
Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 9/10 - 22ème année

SOMMAIRE

Aimer sincèrement La sagesse de la Sharî'a selon la Balance Suprême de 'Abd al-Wahhâb al-Sha'rânî..... 2

Par Abd-al-Wadoud Gouraud

Abū al-Hassan ach-Chadlī Entre Loi et Voie 6

Nejmeddine al-Madani